دار الثقافة

# الكنيسة والدولة





الدكتور القس صموئيل حبيب

# الكنيسة والدولة

دكتور القس صموئيل حبيب



طبعـة أولـــى

صـدر عن دار الثقافـة - ص . ب ١٢٩٨ - القاهــرة

١٠/٤٨٢ ط١ / ٥ - ٥ / ٩٠
رقم الايداع بدار الكتب :٥٤١٥ / ١٩٩٠
جمع فـى سـيوبـرس
طبع بمطبعة دار نـوبـار للطباعـة - شبرا - القاهـرة .

## تمهيـــــــــد

تحتل علاقة "الكنيسة" مع "الدولة" مكانة أساسية. اتخذت هذه القضية اتجاهات شتى عبر تاريخ الكنيسة. فمن قائل بوجود علاقة، إلى قائل بأنه لا توجد علاقة قط، ولا يجوز أن تكون هناك علاقة، إلى قائل بدمج الإثنين معا. ويوضح التاريخ أن هذه المواقف كلها تواجدت فى عصر أو آخر.

وعلاقة الكنيسة بالدولة، قضية قديمة جديدة. فمنذ نشأة الكنيسة وهذه القضية مطروحة للبحث. وهى تتسع لتشمل العلاقة بينهما، على أن الكنيسة مؤسسة داخل الدولة: فما مدى استقلالها عن الدولة؟ وفى أى المجالات يكون هناك ارتباط، إن وجد ؟ وما هو دور الكنيسة فى مجال العمل السياسى أو الاجتماعى ؟ وماهى المجالات التى تسمح فيها الكنيسة بتدخل الدولة فى شئونها، وما هى المجالات التى لا تسمح بها ؟ إلى غير ذلك من الموضوعات التى طرحت عبر تاريخ الكنيسة، فى الدول المختلفة.

وهذه القضية لا ترتبط بالمسيحية فحسب، فهى قضية إسلامية أيضاً، ويهودية كذلك. فالحديث - اليوم - يحتل مساحة كبرى فى فكر الناس: هل تقام دولة دينية، يحكمها رجال الدين ؟ أو دولة علمانية على أساس دينى؟ أو دولة علمانية على أساس علمانى ؟

ولا شك، أن الكنيسة حيثما وجدت هى جزء من كيان الدولة والمجتمع، ولا يمكن أن تفصل نفسها عنه، حتى لو أرادت ذلك. كما أن دستور أى دولة يقرر العلاقة مع الأديان. فهناك دساتير لا تتخذ لها دينا رسميا، وهناك دساتير تحدد دين الدولة، كما تحدد العلاقة مع الأقليات الدينية وغير الدينية فى مجتمعاتها.

ودراسة علاقة الكنيسة بالدولة، تدفعنا أن ندرس علاقة الكنيسة بالسياسة والساسة والأحزاب، إلى غير ذلك. ولا شك أنها تتطرق إلى دور الكنيسة فى

مهام السياسة كتنمية المجتمع وخدمات التعليم والصحة والاسكان وغيرها. وفى هذا تتعدد إهتمامات المفكرين بين ماهو صالح للكنيسة أو ضار بها، أو بين ماهو لازم وما هو غير ذى أهمية.

إن بعض العبارات الواردة فى الكتاب المقدس تثير حوارا ضخما، خاصة ما جاء فى رسالة بولس الرسول الى أهل رومية، الفصل الثالث عشر، عندما تحدث الرسول بولس عن الخضوع للسلاطين، وأن كل السلطات هى مرتبة من الله (رومية ١٣: ١ - ٧) . وقد أثار حديث الرسول بولس تساؤلات عديدة، عن أناس فى السلطان، يسيئون التصرف، أو يعادون الله، أو يستخدمون مقاعدهم لمصالحهم الشخصية دون صالح المجموع. اتسعت هذه الدراسة لتحتوى علاقة الله بالمؤمنين، وغير المؤمنين من البشر، أو علاقته بالكنيسة مقابل علاقته بالخليقة.

وهناك حوار كبير عن مفهوم الطاعة والخضوع لرجال الحكم، وحدوده، وأبعاده. وما هو قصد الرسول بولس من هذا الحديث ؟ وما هو الموقف الواجب لكنيسة الرب يسوع فى المجتمع المعاصر ؟

هناك أسئلة طرحت عبر التاريخ: لمن تكون الطاعة أولاً : الله أو الوطن ؟ ماهو مجال المشاركة السياسية دون إلحاق ضرر بالعمل الروحى ؟ ما هو دور المشاركة السياسية مع الاحتفاظ بالنزاهة والصدق والأمانة والحق والعدالة كقيم مسيحية ؟ هل تعتبر المشاركة السياسية فقدانا - أو اضعافا - للحياة الروحية؟ إلى غير ذلك من الأسئلة، التى سنتطرق إليها فى هذه الدراسة.

من الواضح أن المسيحية لم تضع نظاما سياسيا محددا، رغم أن العهد القديم وضع نظاما سياسيا واجتماعيا: حيث بدأ بنظام القضاة، ثم نظام الملوك. أما السيد المسيح والرسل، فلم يضعوا نظاما سياسيا، أوحتى منهجا، ولا أيديولوجية سياسية معينة. ولاشك أن هناك هدفاً معيناً وراء ذلك.

إننا نحاول فى هذه الدراسة، أن نكتشف دور "المسيحى" وعلاقته "بالسياسة" أو المسيحى وعلاقته بالدولة. ولا بد لنا أن ندرس دور "المسيحى" الفرد كمواطن، وكسياسى، وكليهما معا.

تقتصر هذه الدراسة على الدور المسيحى، وعلى الرأى المسيحى فى القضية. إنها لا ترتبط بدولة معينة، أو وضع معين، لكنها تدرس القضية في مشتملها الواسع من مفهوم كلمة الله.

ولكى تكون الدراسة شاملة، فهى تقوم برحلة تاريخية منذ بدء المسيحية حتى القرن العشرين، تشرح فيها الفكر اللاهوتى المتنوع، فى مواجهة القضايا السياسية المطروحة. ونحن من موقعنا هنا لا نحكم عليها بالصواب والخطأ. فليس من حق أحد أن يحكم إلاّ الله وحده. لكننا ندرس التاريخ، لنرى كيف واجه قادة الفكر اللاهوتى مشكلات عصرهم. لذا كان اهتمام الكاتب، بأن يستعرض القضايا دون إبداء رأي أو تعليق عليها.

ويقدم هذا الكتاب فى نهايته، ما يعتقد أنه رأى كلمة الله، فى علاقة الكنيسة بالسياسة أو علاقة المسيحى بها.

هذه الدراسة إنما هى محاولة فى "علم لاهوت السياسة" ترسم الطريق، لمن يريد أن يدرس أو يبحث فى هذا المجال. فهذه قضية أهملتها الكنيسة منذ سنوات طوال، ولا شك أنها قضية الساعة، التى تستحق الاهتمام الخاص، فى المجتمع المعاصر. فكل من يريد أن يميز علامات الأزمنة (متى ١٦: ١٣) يحس عن كثب، بأن "علم لاهوت السياسة"، لابد أن يأخذ دوره، فى دراسات طلاب علم اللاهوت، والقيادات الكنسية العلمانية.

وقد كان الاهتمام بنشر هذه الدراسة، إلى جانب أنها تجيب عن أسئلة عديدة مطروحة، فهى تعاون المؤمنين على اتخاذ أسلوب مسئول تجاه العمل العام، إلى جانب المسئولية الكنسية المباشرة من العبادة والخدمة الروحية، كما أنها تدفع إلى

الإيمان فى عصر الشك، والأمل حيث يوجد يأس، والسلام حيث يوجد اضطراب وقلق. والمرجو أن هذه الدراسة تدفع القارئ للتطلع إلى مستقبل أفضل وأسعد.

وهذه الدراسة، مهدفة للباحثين والدارسين، ليكتشفوا من خلالها مايريده الروح القدس لهم كأفراد، أو للكنيسة كجماعة الرب المدعوة منه، وبذلك يدركون إطار دعوتهم الإلهى، ومسئوليتهم أمام الله والوطن، فتخرج الكنيسة- ويخرج المسيحيون- من سلبية عاشتها، إلى إيجابية فعالة بناءة مهدفة.

فى هذا البحث:

# علم
# لاهوت السياسة

# مقدمة

# مدخل إلى علم السياسة

لكى نتمكن من التحدث عن علم السياسة، لابد من مقدمة مختصرة توضح المقصود بالسياسة، فتعاوننا على الاتفاق مقدما على ما نتحدث عنه.

علم السياسة، هو كل ما يتصل بالسلطة، أو بحكومة الجماعات، أو دراسة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين. وإلى جانب ارتباطه بالسياسة الداخلية لدولة ما ، فهو يتطرق للعلاقات بين الدول، سواء العلاقات الثقافية المباشرة بين دولتين، أو العلاقات عن طريق منظمات دولية. فقد بدأ عصر المنظمات الدولية ما بين الحرب العالمية الأولى، وإلقاء أول قنبلة ذرية على هيروشيما فى عام ١٩٤٥. فقد ظهرت عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى، ولكنها فشلت بالحرب العالمية الثانية. وبدأت هيئة الأمم المتحدة فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤، داعية إلى المساواة بين الدول، وحسن النية فى تنفيذ الالتزامات الدولية، وفض المنازعات الدولية بالطرق السلمية. ولا تزال هيئة الأمم المتحدة قائمة بعملها.

من هذا نرى، أن علم السياسة، يشمل الاطار المحلى للعمل السياسى الداخلى لدولة ما ، والاطار الخارجى لعلاقات الدولة بالدول الأخرى.

وسنحاول فيما يلى، أن نتطرق لبعض المفاهيم العامة، لعلها ترشدنا إلى معانى الكلمات التى سنتطرق اليها فى هذه الدراسة. ونحن نتعرض لها دون اسهاب، لمجرد أنها تكون الدليل والمرشد فى الدراسة.

## ما الدولـــــة

ليس من السهل وضع تعريف محدد للدولة، فهناك تعاريف عديدة لها.

ولكننا نختار تعريفاً، يكون إطاراً لهذه الدراسة. فالدولة هى النظام السياسى للجماعة، مهما يكن وضعه ولونه، وهى المكلفة بادارة شئون الجماعة، وتنظيمها، وإدارة الحكم، لتحقيق الأغراض المعينة للمجتمع" (١).

وفى ضوء المفهوم الديموقراطى للدولة، فهى النظام السياسى للجماعة، التى تعمل ككل، مستخدمة النظم القائمة - من قوانين وشرائع - لتحقيق أهدافها.

فالدولة هى السلطة العليا للمجتمع (٢). وهى التى تؤثر على المجتمع والأفراد بالسلطة المخولة لها، وبالقوة التى فى حوزتها. وقد وصفها جون بنت John Bennett أنها المؤسسة التى تتمركز فيها السلطة والقوة اللازمتان، لاقرار النظام وتوجيه الحياة والمجتمع (٣). فالدولة، إذا، هى النظام السياسى للجماعة التى تعمل ككل، لتحقيق الأغراض المعنية للجماعة، وهى بالتالى المكلفة بإدارة شئونها، وتنظيمها.

## ما الحكومة ؟

تستخدم "الحكومة" و "الدولة" ككلمتين مترادفتين، وأحيانا لتعنى نفس الشئ. إلا أن الحكومة تختلف عن الدولة. فالحكومة، تمثل جهاز الحكم، الذى يرتبط بمجموعة من القوانين والأحكام التى تدير الشعب. فهناك حاكم، وهناك محكومون.

كل مواطن جزء من الدولة، لكن ليس كل مواطن جزءاً من الحكومة. وفى دول عديدة تتميز الدولة عن الحكومة، فهناك ملك أو رئيس جمهورية، وهناك أيضاً رئيس للحكومة، يدعى رئيس مجلس الوزراء. فالدولة أشمل من الحكومة، لكنهما على علاقة معًا.

---

١ - موريسون وحبيب سعيد. الدين والدولة ص ٧.
٢ - ووجمان. الأبعاد المسيحية فى السياسة. ص ١٨.
٣ - ماقبله. ص١٢.

الحكومة منظمة إنسانية، تحمى الإنسان، وتقدم خدمات للمواطنين (٤)، وهى تشمل الأجهزة التشريعية والتنفيذية والقضائية (٥). فالدولة تعمل من خلال الحكومة، التى هى الاسم الشرعى لسلطة الدولة (٦).

## ما السياسة ؟

كلمة سياسة، فى الأصل، معناها "إدارة المدينة" ، من كلمة Polis اليونانية، والتى تعنى مدينة. ورغم اختلاف مفهوم السياسة لدى كثيرين من المفكرين، فإن السياسة استخدمت لتعنى الأسلوب الذى ينظم به مجتمع ما ، والإطار الذى به يعيش الناس معاً داخل ذلك المجتمع لصالح المجموع. من هذا كان أن السياسة تهتم بالعلاقات الانسانية فى المجتمع، وهذه بالتالى ترتبط بالدساتير والقوانين التى تحكم الجماعة (٧). فالسياسة تتضمن الاهتمام بالمجموع والأفراد فى مجالات عديدة كالصحة والتعليم والاسكان إلى غير ذلك.

والسياسة تتضمن إطار العمل الداخلى فى أجهزته التشريعية والتنفيذية والقضائية. فالسلطات الثلاث سلطات تدير شئون المواطنين، وتحفظ الأمن، وتحكم بينهم. فالمجالس النيابية - بتسمياتها المتعددة - تضع الشرائع والقوانين التى تسوس الدولة، والسلطة التنفيذية لها، والبرنامج العملى، وسلطان الحكم، وحماية الأمن، والسلطة القضائية تحكم بين المواطنين بالعدل، كما تفصل فى القضايا بين المواطنين والسلطة.

يبنى اطار العمل السياسى على أيديولوجية معينة من الفكر السياسى، وعلى نظم سياسية يحددها الدستور، فى حكومة مركزية، وحكومات محلية، وعلى أسلوب العمل من خلال أحزاب. كما يشمل العمل السياسى، السياسة

---

٤ - ولش. فن التفكير السياسى. ص ١٥
٥ - ماقبله. ص ١٨
٦ - ووجمان. ماقبله. ص ٢٦
٧ - كليفورد. السياسة والرؤية المسيحية. ص ١، ٢

الدولية، والتى تحددالعلاقات بين الدول. وكما أشرنا آنفا، انها تعمل حالياً من خلال مؤسسات دولية (كهيئة الأمم المتحدة - وأجهزتها العامة)، أو من خلال الاتصالات المباشرة، ثنائية كانت (أي بين دولتين) أو أكثر من ذلك. ونحن لا ننسى التجمعات التى تضم مجموعات معينة من الدول للعمل معاً، كجامعة الدول العربية، التي تضم الدول الناطقة بالعربية، فى إطار عمل مشترك.

من هذا فإن السياسة تؤثر على حياة الانسان بالخير أو بالشر. فالسياسة تؤثر على توزيع الثروة الاقتصادية، وحقوق الملكية، وحرية المواطنين، وتعليمهم، كما أنها تقرر السلم والحرب.

فالدولة تستخدم أساليب السياسة وجهاز الحكومة لتحقيق أغراضها لصالح المجموع (٨).

## ما الديـــــــن ؟

ليس من السهل وضع تعريف للدين. فهناك تعاريف عديدة له، نختار منها التعريف التالى، إن الدين هو غرض روحى أخلاقى مطلق، صادر عن طبيعة الله وإرادته فى التاريخ والعالم. وهو يهدف أساساً لتوطيد علاقة سليمة بين الله والإنسان، وبين الإنسان وأخيه الإنسان. ولذا، فهو يضبط تصرفات الفرد والجماعة، يضبط الشهوات والأهواء، ويوجه الانسان إلى المثل العليا (٩).

ولذا، فإن الدين الصحيح يعمل على ترقية روح الانسان بالعبادة والتعليم والدعوة والحث، لتستيقظ النفس البشرية، وتتحرر من الشرور، وتسير نحو الخُلُق السليم، وعدالة الفكر، والمساواة بين الناس. فيسعى الناس إلى عالم جديد، يسوده الحق والخُلُق والتضامن.

---

٨- ووجمان. ماقبله. ص ١١

٩- موريسون وحبيب سعيد. ماقبله. ص ٨، ٩

ولاشك أن هذا الأساس، يدفعنا إلى رؤية شاملة للدين، فى إطار العمل السياسى. فالدين قوة دافعة للسلوك الانسانى الكريم، والقيم الروحية والخلقية السوية، التى تعاون على تحقيق سعادة المجتمع، وتنمية العلاقات الانسانية الكريمة، وإقامة أسس المحبة والحق والعدالة بين المواطنين، وتحقيق مجتمع الكرامة والأمانة.

## أغراض الدولـــــــة

يتضح مما سبق أن كل مواطن يتبع دولة ما. والدولة ملتزمة بأن تضع المعايير التى تحدد ملامح المجتمع والأفراد (١٠).

هذه المعايير هى القوانين. فوظيفة الدولة تنظيم السلوك البشرى. والمواطن مطالب بأن يطيع الدولة (١١).

أما الدولة، فهى مجتمع يعيش داخل رقعة محدودة من الأرض، وهذا المجتمع مقسم الى حكومة وشعب (١٢). وسعادة الشعب - كشعب - أو الأفراد هى موضع اعتبار كبير من الدولة (١٣) وسلطة الدولة هى الصورة الفعالة لقدراتها على اشباع المطالب المؤثرة التى تقع على عاتقها (١٤). فالدولة ملتزمة بالحفاظ على النظام (١٥). لكنها فى اطار ذلك ملتزمة بتحقيق الحريات للأفراد والجماعات (١٦)، وبالحكم بالعدل والمنطق (١٧).

ترتكز أغراض الدولة على تنسيق الحياة القومية، وترقية الجهود الاقتصادية، وتوفير أسباب الحياة الصالحة للفرد والجماعة على السواء، ولذا

---

١٠ - لاسكى. مدخل الى علم السياسة. ص٧
١١ - ماقبله.
١٢ - ماقبله. ص٨
١٣ - ماقبله. ص٢٩
١٤ - ماقبله. ص ١١
١٥ - ماقبله. ص ٣١
١٦ - ماقبله
١٧ - ماقبله. ص ١٤

فهى تعمل على توطيد الأمن، وإقرار العدل، وتنفيذ القانون، وقمع الرذائل الاجتماعية (١٨). من هذا كان دور الدولة أن تعمل على ترقية حياة الأمة كلها، وتوفير أسباب السعادة والرفاهية للمواطنين.

والدولة، خاصة فى العالم الثالث، تواجه قضايا كبرى، مثل: قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية (١٩). والتنمية هنا تتناول كافة أبنية المجتمع. والتنمية ، ليست هدفا فى حد ذاتها ، بل وسيلة لتحقيق رفاهية الانسان (٢٠).

لذا، فالدولة مؤسسات علمية وفنية، وللدولة موظفين يحملون مسئوليات العمل فى جهازها الحكومى.

وقد امتد سلطان الدولة إلى منطقة واسعة فى الحياة الاجتماعية، كالأسرة. فان مجال الأسرة مجال اختيارى لا يجوز للدولة أن تدخل اليه. لكن الدولة الحديثة ، لدورها فى إزالة أسباب الفقر، اهتمت بقضايا الاسرة ، كتنظيم النسل(٢١).

كما أن الإطار السياسى للدولة، يشمل الأجهزة النيابية - كمجلسى الشعب والشورى، كما يشمل الأحزاب السياسية، والأجهزة التنفيذية كالوزارة وغيرها. إلا أن الاطار يشمل ما تعمله الدولة لتحقيق رفاهية المواطن، وهو يدخل فى مجالات العمل والتنمية، فى التعليم والتموين والاسكان والكهرباء والتصنيع، وأمن المواطنين، إلى غير ذلك. وإن كان الجزء الثانى يختص بدراسة متميزة عن "التنمية"، إلا أننا سنركز على الجزء الأول من إطار العمل السياسى، فى التشريع والتنفيذ، وسنتطرق إلى الجانب الثانى، بين الحين والآخر.

---

١٨ - موريسون. ماقبله. ص٨

١٩ - هلال. السياسة الدولية. عدد ابريل ٨٢ ص ٣٢

٢٠ - ماقبله. ص ٣٣

٢١ - موريسون. ماقبله. ص ١١ ،١٢

## بين الدولة والمنظمات الخاصة

الفرد عضو فى الدولة. لكنه إلى جانب ذلك عضو فى منظمات سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية. وهو يحاول أن يطيع الدولة، لكنه يرتبط بانتماءات أخرى داخل الدولة (٢٢).

كل فرد عضو فى هيئة دينية ما، والمسيحى عضو فى الكنيسة. والكنيسة للمسيحى تمثل أحد الانتماءات الأساسية التى يرتبط بها. فهو مؤمن بالله، وبالتالى مواطن فى ملكوت الله، الذى تعتبر الكنيسة بالنسبة له الجهاز الظاهر على الأرض.

والكنيسة مؤسسة روحية الهية توجد داخل الاطار الجغرافى لأى دولة. والمؤمنون ينتمون للكنيسة كجماعة الرب المنظورة على الأرض، ويتبعون السيد المسيح رب الكنيسة وسيدها.

من هنا تأتى ثنائية علاقة الفرد بالدولة وبالكنيسة، وبالتالى ثنائية علاقة الكنيسة بالله وبالدولة. وهذه القضية هى التى ندرسها فى هذا البحث.

---

٢٢ - لاسكى. مانبله. ص ٢٥

(١)

# هل من علاقة بين الكنيسة والسياسة ؟

عبر تاريخ الكنيسة، ظهرت مدرستان فكريتان، إحداهما تنادى بانعزال الكنيسة، والأخرى تدعو للتعاون بين الكنيسة والدولة. الأولى تطلب من أعضائها عدم المشاركة والثانية تطلب المشاركة الفعالة. أما مجالات التعاون فتتعدد: منها التعاون فى مجال المشاركة السياسية، ومنها المشاركة فى مجالات التنمية، ومنها المشاركة فى كليهما.

لابد لنا أن نوضح من البداية، أن الكنيسة كمؤسسة فى المجتمع هى جزء من الدولة. فالعلاقة، هنا، قائمة بحكم طبيعة التواجد. ولعل السؤال الذى يواجهنا هو: هل من علاقة بين الكنيسة والسياسة؟ ونحن نحاول أن ندرس هذا السؤال على وجه التحديد.

ستقتصر الدراسة فى هذا الفصل على الأسباب الداعية لعزلة الكنيسة عن السياسة، أو الأسباب الدافعة لاشتراكهما معا. ونحن نبنى هذه الدراسة على الفكر الكتابى من آراء الفريقين.

## المعارضون لدور الكنيسة السياسى

يدعو البعض أنه لا سياسة فى الدين، ولا دين فى السياسة. وهم يبنون وجهة نظرهم على أسباب، منها:

### (١) دور الكنيسة دين لا سياسة [٢٣]

إن للكنيسة دوراً دينياً فقط. فهى تهتم بالعبادة، وتثبيت الإيمان، وتنمية الاختبار الروحى والشخصى أو الجماعى. وأصحاب هذه النظرة يرون أن الدنيويات تفسد الحياة الروحية. ظهرت هذه النظرية فى عصور الإضطهاد،

٢٣ - ديفز. المسيحيون، والسياسة والثورة العنيفة. ص٩

عندما هربت الكنيسة إلى العبادة فى أماكن نائية، كما ظهرت نتيجة حركات "روحية"، كالحركة التطهرية التى ظهرت فى البروتستانتية فى أوروبا فى نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر. أدانت هذه الحركات الكنيسة لدنيويتها، واعتبرت أن دخول العالم الى الكنيسة، أو اندماج الكنيسة مع العالم، شر عظيم، ولابد من الاعتزال، كوسيلة لتحقيق الطهارة الفردية أو الجماعية للكنيسة، نتج عن ذلك إنسحاب الكنيسة - ككنيسة - وأعضائها كأفراد من الحياة الاجتماعية، وبالتالى من الحياة السياسية.

## (٢) الدين أمر شخصى (٢٤)

مهمة الدين مهمة شخصية. فالدين يهتم بخلاص العالم من الخطية، وتحقيق السلام والمصالحة والحياة الفاضلة للفرد. إن أصحاب النظرية الانعزالية، يرون أن مهمة بناء الحياة الروحية هى المهمة الأولى والرئيسية للكنيسة ولا يجوز للكنيسة إهمالها أو الإنخراط فى غيرها.

وقد دعا أبناء هذا الفكر، أن الدين أساساً فردى، وهو علاقة مباشرة بين الانسان والله. وأن الايمان يبنى على العلاقة الفردية الصحيحة، بين الانسان والله. ورغم أن غالبية المفكرين يتجهون إلى صواب هذا الرأى، لكننا نجد أن أبناء المدرسة التى تطالب بالإنعزال، أنهم لا يجدون مجالاً للعلاقة المباشرة بين الله والمجتمعات كمجتمعات، أو بين الله والدول كدول. وهم يعتقدون أن الفردية هى الأساس الأوحد لعلاقة الله بالناس.

## (٣) المسيحية تنتمى إلى عالم آخر

يتحدث الكتاب المقدس عن الوطن السماوى الذى ينتمى اليه المؤمنون. يشير كاتب الرسالة الى العبرانيين إلى المدينة السماوية فى قوله. "فى الإيمان،

---

٢٤ - ما قبله. ص ١٥

مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد، نظروها، وصدقوها، وحيّوها، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض. فإن الذين يقولون مثل هذا، يظهرون أنهم يطلبون وطنا ..... ولكن الآن يبتغون وطنا أفضل، أى سماويا، لذلك لا يستحى بهم الله، أن يدعى الههم، لانه أعد لهم مدينة (عبرانيين ١١: ١٣و١٤و١٦)" . هذه المدينة، صانعها وبارئها هو الله نفسه (رؤيا ٢١: ١٠).

كما يستند أصحاب هذه النظرية، على قول السيد المسيح "مملكتى ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨: ٣٦)". وحديث السيد المسيح عن "ملكوت الله" أو "ملكوت السماوات" فهو ملكوت روحى، يضم المؤمنين من كل أنحاء العالم. فالمؤمنون -فى إقامتهم على الأرض- يعيشون فترة انتقال، حتى يحقق الله لهم المواعيد، فى حياة مجيدة، فيما بعد الموت.

## (٤) السيد المسيح لم يكن رجل سياسة، وكذلك أتباعه (٢٥)

يريد أصحاب المدرسة الانعزالية الاقتداء بالسيد المسيح وأتباعه. فان السيد المسيح لم يكن ينتمى إلى حزب سياسى، وقد عرضت عليه سلطة دنيوية لكل ممالك العالم ورفضها (متى ٤: ٨ - ١٠). لم يذكر السيد المسيح حديثا سياسيا مباشرا. ولم يعلن مدرسة سياسية، ولا أيديولوجية معينة.

## (٥) السياسة خطر على الكنيسة

الحديث فى السياسة شائك. وأحيانا يضر بالكنيسة. من ينادون بالنظرية الانعزالية قد يهمهم أو لا يهمهم أن أحد أعضائها يعمل بالسياسة. لكنهم يصرون على عدم دخول الكنيسة فى السياسة. إنهم يطالبون بعدم دخول الكنيسة فى الأحزاب السياسية، مما يسبب للكنيسة إنقسامات، تعرضها للمخاطر، وتعطل رسالتها الانسانية (٢٦).

---

٢٥ - ماقيله. ص ٢٣

٢٦ - ماقيله ص. ٢٩

## (٦) تعاليم السيد المسيح لا تناسب السياسة (٢٧)

إهتم السيد المسيح بتعاليم الأفراد، مثل: "من ضربك على خدك الأيمن حول له الآخر أيضاً، هذه التعاليم تناسب السلوك الأخلاقى للأفراد. لكنها لا تتفق مع نظم الدولة. من هذا يظهر أن المسيح لم يقدم تعاليم عن السياسة، ولا للساسة، بل ركز على الفردية وعلى الفرد.

## (٧) الكنيسة تخدم الدولة عن طريق أفرادها

أعضاء الكنيسة يعملون فى أجهزة الدولة. والكنيسة تهتم باصلاح الفرد. ولا شك أن إصلاح الفرد يؤدى حتما لاصلاح المجتمع. إن المؤمنين المخلصين، يؤدون رسالتهم للوطن والمجتمع بأمانة كاملة، وبوفاء رائع. ولذا فان الكنيسة تؤدى دوراً غير مباشر فى خدمة المجتمع والدولة عن طريق أعضائها، وفى نظر أصحاب المدرسة الانعزالية، هذا يكفى.

## مدارس الفكر الإنعزالى

يظهر مما سبق، أن هناك مدارس من خلال الفكر الانعزالى: واحدة ترفض تواجد علاقة كلية لا للكنيسة ولا للأعضاء بالدولة، وأخرى تسمح للأعضاء بالإنخراط فى العمل السياسى وترفض دخول الكنيسة فيه. واحدة تترك الأمور تجرى كما يريد القدير، وتعتقد أن السيد، فى الوقت المعين سيتدخل. والآخرى لا تمنع الجهد البشرى مع الله، للعمل على خدمة المجتمع، لكنه عمل عن طريق الأفراد، وليس عن طريق الكنيسة. كلاهما يدعو لانعزال الكنيسة ككنيسة، وكلاهما يؤمن بدور الله فى العالم، كدور مباشر، لا يتم عن طريق التنظيم الكنسى.

---

٢٧ - ماقبله. ص ٢٧

## المؤيدون لدور الكنيسة السياسى

درسنا المدرسة الانعزالية، ونحن ندرس الآن المدرسة الاندماجية. فما هو الفكر اللاهوتى والكتابى لأولئك الذين يطالبون بأن يكون للكنيسة دور سياسى، وماهى وجهة نظرهم؟ وماهى حدود الاندماج؟

### (١) دور الكنيسة يشمل حاجة الانسان

للكنيسة دورها الروحى، ولاشك أن هذا الدور يحظى بالإهتمام والأولوية. إلا أن الكنيسة لا تقدر أن تشهد حاجات الانسان حولها، وتغض الطرف عنها، أو تهمل مسئولية يمكنها أن تقوم بها. فمسئولية الكنيسة تقع فى الاطار الذى عمل فيه السيد المسيح، سيدها وربها وهو الإرشاد الروحى، شفاء المرضى، المشاركة الاجتماعية فى مناسبات الناس، إلى غير ذلك. ولا يجوز للكنيسة أن تتنحى عن دورها الشامل.

فشعب الله، داخل الكنيسة، هم أعضاء فى المجتمع الأكبر، يعيشون حياتهم اليومية فيه، ويرتبطون بالأحداث التى تتم حولهم، ويتأثرون بما يتأثر به المجتمع المحيط. إن إنعزال شعب الله عن المجتمع مستحيل، بحكم الاقامة، ومواقع العمل لكل منهم .

إنه لمن الخطورة بمكان أن تتنحى الكنيسة جانبا معينا، وتعيش بمعزل عن المجتمع. وبذلك تتحول الكنيسة إلى قوقعة لا تتوافق مع المجتمع، ولا تحس به ولا بمشكلاته، فيتحول المؤمنون إلى أشخاص لا يتوافق دورهم فى حياتهم اليومية مع المجتمع، أو يعانون من الفصام. فهم فى الكنيسة شئ، وفى المجتمع شئ آخر.

يضاف إلى ذلك أن عقيدة الخلق ترينا الله خالقا، وكل بنى البشر أبناءه بحكم الخلق. فإن كل إطارات الاهتمام، التى ندعوها دنيوية، هى من خلق الله.

وهل للإنسان أن ينتقد عمل الله، أو يتهم ما عمله الله بأنه غير روحى.

تضر الكنيسة نفسها، إذ تهرب من الواقع. فان الانسان كلٌ لا يتجزأ. وعقيدة الفداء ترينا أن فداء السيد المسيح للانسان ككل: جسد وروح، حيث أن التفرقة بينهما مستحيلة. وقد جاء السيد المسيح إلى العالم نوراً، أنار الحياة والخلود (يوحنا ١٠: ١٠)، ليس الخلود فقط بل الحياة الأرضية كلها. وقد جاء لتكون لنا حياة أفضل، من كل جانب، روحى ومادى.

من هذا نرى الدور الأشمل لكنيسة الرب يسوع، وبالتالى فهو الدور الأشمل لكل المؤمنين أفراداً وجماعة.

## (٢) الدين الصحيح يهتم بالقريب

الدين الصحيح لا يمكن أن يكون فردياً فقط. فان العلاقة مع الله تظهر مباشرة فى العلاقة مع القريب. إن العلاقة الصحيحة مع الله تدفع إلى علاقة صحيحة مع الأخ والقريب. "بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس. كل من لا يفعل البر، فليس من الله، وكذا من لا يحب أخاه (يوحنا الأولى ٣: ١٠)" و "أما من كان له معيشة العالم، ونظر أخاه محتاجا، وأغلق أحشاءه عنه، فكيف تثبت محبة الله فيه (يوحنا الأولى ٣: ١٧) " لأن "المحبة هى من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله، ويعرف الله. ومن لا يحب، لم يعرف الله، لأن الله محبة (يوحنا الأولى ٤: ٧ و ٨)". فانه "إن قال أحد إنى أحب الله، وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من لايحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره (يوحنا الأولى ٤: ٢٠)".

فمن هو القريب أو الأخ؟ هذا يعيدنا إلى عقيدة الخلق. فكل البشر خليقة الله، البشر بمختلف أجناسهم ودياناتهم وألوانهم اخوة وأخوات. وقد أراد السيد المسيح أن يوضح فكرة القريب فذكر قصة اليهودى الذى هاجمه لصوص بعد أن أصابوه، وتركوه فى الطريق. مر به كاهن ثم لاوى ثم سامرى، ولم يعتن به إلا

الأخير. (لوقا ١٠: ٢٥ - ٣٦). لقد أراد المسيح أن يوضح أن السامرى الذى يختلف عن اليهودى فى العقيدة الدينية قريب له. إن الانسانية فى حد ذاتها من صنع الله، فى الخلق. فالبشر جميعا أخوة وأخوات.

إن الوقوف الى جانب من يحتاج لمساندة، متى قدرنا أن نقوم بها، وأعطيناها اهتماما أولاً، نكون بذلك قد حققنا رغبة السيد. كما أن العناية بالقريب تعبير واضح عن أمانتنا لله. فان العبادة دون الاهتمام بالأخ أو القريب، تكون عبادة زيف.

إن محبة القريب، تدفعنا للدخول فى المجتمع. وعدم الاعتزال عنه، وخدمة الانسان.

## (٣) المسيحى ينتمى الى عالم ممتد: حاضراً ومستقبلاً

ينتمى المسيحى إلى عالمين: العالم الحاضر، والمدينة السماوية. فالإنسان فى العالم الحاضر غريب ونزيل (عبرانيين ١١: ١٣)، ولا شك أن الوطن السماوى، وطن أفضل (عبرانيين ١١: ١٦). ونحن ننتظر السماء الجديدة والأرض الجديدة (رؤيا يوحنا ٢١: ١)، والتى لا هيكل فيها، حيث أن السيد المسيح هو هيكلها (رؤيا ٢١: ٢٢).

عندما تحدث كاتب الرسالة الى العبرانيين عن الانسان فى العالم الحاضر، بأنه غريب ونزيل تحدث عن أبطال الايمان، الذين ماتوا ولم ينالوا المواعيد، بل من بعيد رأوها وصدقوها وأقروا أنهم غرباء ونزلاء (عبرانيين ١١: ١٣).

هؤلاء الابطال عاشوا حياتهم الأرضية بالكامل، ولم يُقصّروا فيها، فان السجل يشمل ابراهيم، ونوح، وموسى، ويعقوب وغيرهم. إن الوحى المقدس يسجل حياة هؤلاء وغيرهم والأدوار التى قاموا بها فى خدمة الانسانية والمجتمع سياسيا ودينيا واجتماعيا.

أشار الرسول بولس فى رسالته الى أفسس، إلى فكرة الغرباء والنزلاء (٢: ١٩)، اذ قال: "فلستم اذاً بعد غرباء ونزلاء، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله". وعندما تحدث الرسول بولس في أفسس، عن الغريب والنزيل، كان يشير الى مكان الامى (غير اليهودى) مع اليهودى. فإذا آمن الاعمى، لم يصبح غريبا عن رعوية المؤمنين، بل فرداً فيها فان تواجد جماعة الرب معا فى العالم، يوجدهم فى "رعية" مشتركة، هى شركة القديسين. وشركة القديسين التى فى العالم الآخر تبدأ هنا على الأرض. لذا فان المؤمن فى العالم، ليس غريبا ونزيلا، ما دام ينتمى إلى جماعة الرب فى هذا العالم.

عندما أقر الأقدمون، بأنهم غرباء ونزلاً، كان ذلك لأنهم كانوا فى انتظار المواعيد (عبرانيين ١١: ١٠). وقد تحققت المواعيد بمجئ السيد المسيح الى العالم. لذا فان الحياة الأبدية تبدأ على الأرض وتكتمل فى السماء. وما الموت إلا انتقالاً للمؤمن من مرحلة إلى مرحلة (عبرانيين ١١: ١٦).

إننا عندما نصلى قائلين: لتكن مشيئتك، كما فى السماء، كذلك على الأرض " إننا نجعل الأرض بداية للسماء. فهى الموقع الذى تتحقق فيه مشيئة الله الممتدة عبر الزمن والمكان الى الأبد. وتواجد المؤمنين فى العالم هو تواجد "رعية قديسين" و"أهل بيت الله". وأهل البيت هنا فى العالم، يتمتعون بالمدينة السماوية هنا على الأرض، حتى ينتقلوا اليها فى المجد.

إن الله، إله الدنيا والدين معًا (٢٨). لا نقدر أن نحصر الله فى اطار الدين فقط. إن الذين يرون أن الله لا يهتم إلا بالدين يحصرون الله فى نطاق ضيق (٢٩). فالله هو إله الخليقة، كما أنه إله العهد مع شعبه، المؤمنين به (٣٠). إن

---

٢٨ – ستوت. قضايا تواجد المسيحيين اليوم. ص١٩

٢٩ – ماقبله. ص ١٥

٣٠ – ماقبله.

التطهريين ينتظرون خراب العالم (٣١). ظنا منهم أنه الوسيلة لانتهاء الخليقة. لكن العالم لا يخرب، بل يتغير إلى سماء جديدة وأرض جديدة.

من هذا نرى أن إنتماء الكنيسة- وبالتالى المؤمنين. هو إنتماء لرعية فى العالم. هذا الانتماء لا ينفصل عن المجتمع الأرضى. فان المؤمن يرتبط بأسرة، وأقارب، وعائلات، ومجتمع. إنه يعمل فى مجالات أرضية. والمهام الأرضية جزء من إطار خليقة الله، لايقدر أن يقلل من شأنها، ولا يقدر أن يتنصل منها.

## (٤) لم يكن دور السيد المسيح بمعزل عن المجتمع والسياسة

لم يكن المسيح رجل سياسة، ولا رجل دولة بالمعنى المعروف. لم يكن أيضا رجل دين بالمعنى المتعارف عليه فى اليهودية، أى أنه لم يكن كاهنا. ولم ينضم المسيح إلى حزب سياسى، فقد كانت الأحزاب السياسية المعروفة فى ذلك الوقت، أحزاباً سياسية دينية معاً، فلم يكم المسيح فريسيا، ولا صدوقيا ولا غيورا. كما أنه لم يحاول تغيير سياسة قيصر ولا هيرودس ولا بيلاطس.

والعهد الجديد، بخلاف العهد القديم، لم يعالج القضايا السياسية، ولم يطرحها ولو للحوار. فقد كانت المسيحية ناشئة، وكانت تحاول أن تصل إلى كل أركان الدولة الرومانية الضخمة، رغم بطش الرومان، ومحاربتهم للمسيحية. ولعل هذا هو السبب وراء عدم طرح قضايا السياسة فى العهد الجديد.

والكتاب المقدس نفسه، ليس كتاب سياسة، ولم يقصد به ذلك، لكن القضايا السياسية مطروحة فيه، وقد اشتمل - ولا شك - على كثير من النظم السياسية والقضائية فى العهد القديم.

لكن المجتمع اليهودى لم يكن يفصل بين الدين والسياسة. والاحزاب الدينية كانت دينية سياسية. فأى اتصال بالسيد المسيح فى المجتمع اليهودى، أو أى

---

٣١ - مرى. السياسة والكرازة. ص ٤٧

تعليم، كان يمس الوضع السياسى كما كان يمس الوضع الدينى.

يرى ديفز (٣٢) أن السيد المسيح كان يتعاطف جداً مع حزب الغيورين. وهو حزب يدعو إلى محاربة روما، والسلطة الاستعمارية، وإلى التحرير القومى. ويعتقد أن بعض التلاميذ إنضموا إلى هذا الحزب (٣٣) . ومن المؤرخين من يعتقد أن بعض التلاميذ، بعد صعود السيد المسيح، إنضموا رسميا إلى الحزب، إحساسا منهم بتعاطف السيد المسيح معه، أثناء حياته على الأرض (٣٤).

انتقد المسيح الفريسيين على أسس دينية وسياسية واجتماعية، والفريسية حزب سياسى دينى واضح فى عصر المسيح. وقد كان تطهير الهيكل خطوة تجاوبت مع حركة الغيورين (٣٥). نشأ حزب الغيورين أساسا عند بدء نظام الضرائب الرومانية (٣٦). وقد اهتم حزب الغيورين بالفقراء، والوقوف الى جانبهم ومساندتهم (٣٧). كما نادوا بطريق الألم فى سبيل تحقيق أهدافهم، ولذا فان دعوة المسيح لتابعيه بحمل الصليب، كانت فى اتفاق كبير معهم (٣٨).

ويرى بعض المؤرخين أن بعض تلاميذ المسيح كانوا مسلحين، وهو منهج غيور (٣٩). فعندما قبّل يهوذا السيد المسيح، قال التلاميذ للسيد: "أنضرب بالسيف" (لوقا ٢٢: ٤٩) وفعلا ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف فقطع أذنه (متى ٢٦: ٥١). ولعل يهوذا كان يعرف ذلك، وأفاد رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب بذلك، مما دفع أولئك أن يهاجموا المسيح كجمع كبير بسيوف وعصى (متى ٢٦: ٤٧)، ولكن المسيح لم يقبل استخدام السيف ولا القتال (متى ٢٦: ٥٢)، ورد أذن عبد رئيس الكهنة إلى مكانها. وفى هذا قال السيد، إنه كان يقدر أن يطلب جيشا من الملائكة للدفاع عنه، لكنه لم يفعل

---

٣٢ – ماقبله. ص ٢٣

٣٣ – ماقبله.

٣٤ – ريتشاردسن. المسيح السياسى. ص ٥٦

٣٥ – ماقبله. ص ٥١

٣٦ – ماقبله. ص ٤٢

٣٧ – ماقبله. ص ٥٣

٣٨ – ماقبله.ص ٥٦

٣٩ – ماقبله. ص٥٧

ذلك (متى ٢٦: ٥٣).

يتحدث جون ستوت، وهو معلم انجيلى مشهور، عن السيد المسيح، أنه لم يكن رجل سياسة، لكن تعاليمه كان لها مضمون سياسى(٤٠). وهو يرى أنه لا يجوز لنا أن نفصل يسوع "المخلص" عن يسوع "الرب" (٤١). لقد شارك السيد المسيح حياة المجتمع وأعلن ملكوت الله، وهو نظام اجتماعى جديد ومختلف (٤٢). وكان الملكوت يحمل تحديا لقيصر. فالقيم الجديدة والمستويات التى تحدث عنها السيد المسيح، كانت تحديا للوضع القائم. بل إن ستوت يرى أن التلاميذ المسيحيين الأوائل لم يأخذوا قرارات سياسية، بسبب محدوديتهم (٤٣).

أما صلب السيد المسيح، فقد كان قراراً سياسيًا. فقد تمت مواجهة بين السيد المسيح وبيلاطس، ثم هيرودس، ثم مع بيلاطس ثانية. وقد اعترف بيلاطس وهيرودس أنه لا توجد فيه علة سياسية تستحق العقاب (لوقا ٢٣: ٤، ١٤، ١٥). وكانوا يحاولون اختلاق اتهام يصلح أن يجعله معارضا لقوانين الدولة الرومانية، ليكون من اختصاص بيلاطس الحكم عليه. فالاتهام بأنه قال إنه ينقض الهيكل ويبنيه فى ثلاثة أيام لا يصلح اتهاما فى القضاء الرومانى (متى ٢٦: ٦١). والاتهام بأنه "يفسد الأمة" (لوقا ٢٣: ٢) أو بأنه "منع دفع الجزية لقيصر" (لوقا ٢٣: ٢) لم يثبت عليه. بينما ثبت عليه الاتهام أنه قال إنه "ملك اليهود" (لوقا ٢٣: ٣)، رغم أنه قال: "مملكتى ليست من هذا العالم" (يوحنا ١٨: ٣٦). لم يكن قصد السيد هنا أنه لايهتم بالعالم وشئونه، فهذا مستحيل، فإن مجرد تجسده، كان اهتماما بالعالم وبالإنسان، إلا أنه أراد أن يوضح أن مصدر السلطة لملكوته ليس من العالم، كما أن أسلوب الملك الذى يقوم به، ليس

---

٤٠ - ستوت. ماقبله. ص ١١

٤١ - ماقبله. ص ٢٣

٤٢ - ماقبله. ص ١١

٤٣ - ماقبله. ص ٥٨

كما توقع اليهود السامعون (٤٤).

أما اتهام "ملك اليهود"، فهو اتهام سياسى يصلح للرومان أساسا للحكم على المسيح بالصلب. فالصلب عند الرومان كان للعبيد أو للثوريين. وبالنسبة لليهود كان اتهاما للمسيح أنه يدّعى المسياوية. وبذلك صار قرار الاتهام السياسى، بأنه ملك اليهود صالحا للصلب لدى الرومان واليهود معا (٤٥).

وهذا يدفعنا أن نرى فكرة "الثائر القومى" أو بالمعنى القانونى "جريمة الثورة ضد الدولة"، وباليونانية "لستاى" LESTAI. والتى ترجمت فى العربية لص. إستخدمت هذه الكلمة عن باراباس (٤٦)، لدرجة أن البعض ظن أن باراباس سجن لثوريته. لكن كثيرين يعارضون ذلك. فان يوسيفوس المؤرخ لم يذكر ذلك. ولو أن باراباس سجن لغرض سياسى، ما كان بيلاطس يصرح بإطلاقه بهذه السهولة. ويذكر البعض أن اللصين الذين صلبا مع المسيح، ربما كانا من نفس الاتهام (٤٧). وقد آمن أحدهما على الصليب بالمسيح باعتباره المسيا.

إننا، نعود ونؤكد، أن السيد المسيح لم ينتم لحزب الغيورين، ربما كان متعاطفا معهم. لقد رفض السيد المسيح معالم المسيا السياسى التى عرفها اليهود فى عصره ورفض الحكم السياسى، ولم يقبل أن يكون زعيما سياسيا. لذا قال "مملكتى ليست من هذا العالم". كما أن تلاميذ المسيح، فى عهد تلمذتهم كانوا يهوداً فى انتماءاتهم الاجتماعية، وتلاميذاً للسيد فى نفس الوقت. لذا، فان ارتباطهم بحزب الغيورين، كان الأساس القائم فى ذلك الوقت فى المجتمع اليهودى. ولم يعترض السيد المسيح على انتماء تلاميذه لأحزاب سياسية.

## (٥) السياسة عمل ومسئولية كنسية

يناقش ديفز أساس العمل السياسى أنه يحتوى الدين. وهو يرى أن المسيح

---

٤٤ - ريتشاردسن. ماقبله. ص ٢٨

٤٥ - ماقبله. ص ٣٣

٤٦ - ماقبله. ص ٤٢، ٤٣

٤٧ - ماقبله. ص ٣٣

قدم نظريات وتعاليم سياسية (٤٨). لابد لنا أن نفصل الدين عن السياسة، من حيث منشأه، فالدين من الله. أما الكنيسة باعتبارها الجسد، فهى مجتمع موجود فى العالم.

وهذا يدفعنا للعودة إلى كلمة الله فى العهد القديم. عرف اليهود الله ملكا، وحاكماً وقائداً، وربّاً. وصاروا له شعباً. وضع نظام القضاة، ثم نظام الملوك. وجاء المسيح من نسل داود الملك وقد اهتم متى الانجيلى أن يبين السيد المسيح باعتباره الملك، بأن ربطه بنسل الملك داود.

العهد القديم - وهو جزء من صلب الوحى المقدس - يضع نظما سياسية وشرائع (٤٩). فالنظم التى توضع لابد أن تكون لحماية الانسان (٥٠). فان الله مصدر السلطات كافة (٥١). يتضح ذلك من تعليم الرسول بولس (رومية ١٣: ١)، فحتى إن كان الحكام غير مؤمنين، فهم من الله. وحتى إن كان العالم شريراً، فان رفض العالم لايتفق مع سياسة الله (٥٢).

صرح السيد المسيح فى حواره مع بيلاطس بسلطان بيلاطس عليه (يوحنا ١٩: ١١)، واعتبر المسيح هذا السلطان سلطانا الهيا، رغم أنه سلطان وثنى(٥٣). كان طرد الباعة من الهيكل حركة قومية دينية (٥٤). ورغم أن الدار

---

٤٨ - ديفز. ماقبله. ص ٩.

٤٩ - فهناك شريعة التقدمات (لاويين ٢، ٣)، وشريعة الذبائح (لاويين ٤ - ١٠) وشريعة يوم السبت (لاويين ١٦). وهناك شرائع صحية، كشريعة البرص (لاويين ١٤) وشريعة ذبح البهائم والطيور للأكل (لاويين ١١) وشريعة ذى السيل (لاويين ١٥). كما كانت هناك شرائع اجتماعية وسلوكية ترتبط بالزواج (تثنية ٢٢: ١٣ - ٣٠، ٢٤: ١ - ٥ وغيرها) وهناك شرائع قضائية (منها تثنية ٩: ١١ - ٢١، تثنية ٢٥) وشريعة الحرب (تثنية ٢٠، ٢١ وغيرها)، الى غير ذلك.

٥٠ - مرى. ماقبله. ص ٥٩

٥١ - بارت. الكنيسة والدولة. ص ٣٢

٥٢ - مرى ماقبله. ص ٤٥

٥٣ - كارل بارت. ماقبله. ص ١٤

٥٤ - رتشاردسن. ماقبله. ص ٥٦

الخارجية كان يحرسها حوالى خمسمائة من الجند الرومانى، لكن المسيح لم يقبض عليه فى ذلك الوقت (٥٥). وقرار السيد المسيح بشأن دفع الجزية، كان قرارا سياسيا.

وتعاليم المسيح عن المحبة، ومحبة القريب، تعاليم تصلح للسياسة وغير السياسة. لاشك أن بعض تعاليم السيد المسيح تصلح للأفراد، لا للدول. فالمحبة المسيحية لها التزام سياسى، والانسانية لها دور سياسى (٥٦).

ولاشك أن الله هو إله التاريخ، وبالتالى فهو إله السياسة والساسة. وهو يهتم بتحقيق العدالة ويدعو للسلام، سواء أكان فرديا أو دوليا (٥٧). فالله خالق، وكل الخليقة تقع فى نطاق إدارته، وتهمه. والله يريد أن يحمى العالم من الخراب، وهو دور سياسى. وحقيقة التجسد دليل عناية الله بالعالم، وبالانسان، إذ أراد أن يحرره من الخطية ومن المرض والجوع والألم والسجن إلى غير ذلك (٥٨). ولما كانت السياسة تشمل كل إطارات النشاط البشرى من إقتصاد وتعليم وصحة .. من فرد وأسرة ومجتمع، فكلها ضمن الاهتمام الالهى.

وتجسد السيد المسيح كان رغبة فى فداء البشرية والخليقة، الأشخاص والأشياء، وتحويل العالم - بكل ما فيه ومن فيه - إلى خليقة جديدة، تتحقق فى النهاية فى أورشليم الجديدة، السماء الجديدة والأرض الجديدة، لكنها تبدأ على الأرض، كان هذا عملاً سياسيا (٥٩). ولو عدنا إلى دور الله فى خلاص شعبه قديما، وخروجهم من العبودية، نجد أنه كان عملاً سياسيًا ولكنه مع كونه سياسيًا فهو عمل روحى.

---

٥٥ - ماقبله. ص ٥١
٥٦ - ديفز. ماقبله. ص٣٧
٥٧ - ماقبله. ص ٣٦
٥٨ - ماقبله. ص ٣٧
٥٩ - ماقبله. ص ٣٩

وقد نتساءل ما هو الدور السياسي للكنيسة أو لعضو الكنيسة، وهذا ما سنطرقه فيما بعد. إلا أنه من الواضح أن الفصل المطلق بين العمل الديني والعمل السياسي مستحيل.

من هذا نرى أن للكنيسة - ككنيسة - دوراً سياسيًا، كما أن للعضو في الكنيسة دوراً. قد تختلف الأدوار، لكن الكنيسة لا يجوز لها أن تهرب من دورها. لقد دعا الله ابراهيم، وعقد معه عهدا، وكان العهد مع ابراهيم، لا كفرد، بل كجماعة (أوقبيلة). وعندما تعامل الله مع العالم قديما، تعامل معه عن طريق شعب. قد ترفض الكنيسة - ككنيسة - أن تدخل حزباً سياسيًا، لكن الأفراد يمكنهم أن ينضموا إلى الأحزاب السياسية. لكن الكنيسة تدعو إلى قضايا سياسية، كحقوق الانسان، وحرية الفكر والقول، وتحارب التفرقة العنصرية، وتدعو للقومية والوطنية، إلى غير ذلك من القضايا الوطنية، التي هي أيضا قضايا روحية.

الكنيسة قد ترفض إقامة حزب على أساس ديني. فان المنظمات البشرية لا تخلو من العيوب، لكنها تشجع أعضاءها على الاشتغال بالسياسة، لمن يحس بأن هذه هي دعوته.

يناقش جون ستوت القضية، محاولا التمييز بين الخدمة الاجتماعية Social Service والفعل الاجتماعي Social Action (٦٠). فالخدمة الاجتماعية تخدم حاجات الانسان، والفعل الاجتماعي يرفع أسباب الفقر أو الحاجة. الخدمة الاجتماعية تراعي العطف والرحمة على الإنسان، وتمارس النشاط اللازم له، والفعل الاجتماعي يتخذ القرارات السياسية والاقتصادية ويراعي العدالة وتغيير النظم والأجهزة لصالح ذلك. ويعلق ستوت، على ذلك، مستشهداً بمثل السامري الصالح (لوقا ١٠: ٢٥ - ٣٦). فان ماعمله السامري الصالح كان

٦٠ - ستوت. ماقبله. ص ١١

"خدمة اجتماعية". أراد ستوت أن يذهب لأكثر من ذلك، إلى فعل اجتماعى (أو سياسى). فلو أن قراراً أتخذ لحماية الطريق من اللصوص، أو لحراسته يكون الوضع خدمة للآخرين لكل المستقبل (٦١) . يرى ستوت أن إصلاح النظام (وهو عمل سياسي)، أهم من مجرد الخدمة فى حد ذاتها (٦٢) . ويرى ستوت أن ذلك تحقيقا للعدالة. ويعود ستوت إلى قضية عامة، وهى "سباق التسلح"، الذى هو أكبر مشكلة تهدد عالم اليوم. وهو يرى أن دعوة السيد المسيح للسلام، لابد أن تطبق على هذه القضية، ويكون دور الكنيسة أن تدعو العالم لتحقيق السلام، وحماية البشرية بوقف سباق التسلح (٦٣). لهذا يرى ستوت أن الكنيسة لا يجوز أنها تحد ببرنامج معين (٦٤).

لقد حددت بعض الكنائس دورها فى دعوة الناس الى الخلاص الفردى من الخطية. ونسيت أن دورها هو الدعوة الى الخلاص الشامل (٦٥)، حسب التعليم الكتابى. ليس للكنيسة أن تنكر دورها فى "العدالة" و "الحق" إلى جانب "الخلاص"، ودورها تجاه "المجتمع" إلى جانب دورها تجاه "الفرد". فان الله إله الحق والعدل كما هو إله الرحمة.

يعلق ستوت على مثل السيد المسيح، عن الذين قال لهم الرب فى اليوم الأخير "كنت جائعا فأطعمتمونى .."، قال إن دور الكنيسة، ليس أن تصلى فقط لأجل الجائعين، والعرايا، والمرضى، والمحتاجين، بل أن تعاونهم، وأن تتخذ القرار الذى يحل أسباب الجوع والعرى والمرض والحاجة (٦٦). فان الكنيسة لا

---

٦١ – ماقبله. ص ١٢

٦٢ – ماقبله. ص ١١

٦٣ – ماقبله. ص ٨٠

٦٤ – ماقبله. ص ١٢

٦٥ – الخلاص الشامل يشمل الخلاص من الخطية (لوقا ٧: ٥٠) ومن مخاطر الحياة (مزمور ٦٨: ٢٠) ومن ضيقاتها (إشعياء ٢٥: ٩) ومن المرضى (لوقا ٨: ٣٦) ومن العدو السياسى (خروج ١٤: ١٣)، كما أنه الخلاص بمعنى التجديد (كولوسى ٣: ٣) وبمعنى التقديس (رومية ٥: ١٠) وبمعنى التمجيد (عبرانيين ٩: ٢٨).

٦٦– ماقبله. ص ١٩

تقدر أن تقف مكتوفة اليدين أمام مشكلات العالم، التى تقلل من قيمة الفرد أو المجتمع أو البيئة. إنها - لا يجوز لها - أن ترى مشكلات التفرقة العنصرية، وحقوق الانسان المهضومة، وتكتفى بالصلاة، بل لابد لها أن تتحرك وتبدى رأيها.

كما أن حياة الكنيسة ، أرادت أو لم ترد، هى جزء من إطار الحياة العامة (٦٧). يوجد بعض من يظنون أن الاندماج فى الأعمال العامة يضعف الروحانية، ما نوع الروحانية الذى يذوب فى الأعمال العامة؟ أليست هذه الأعمال العامة روحية أيضا؟ (٦٨) ومن يخشى أن الأعمال العامة قد تطغى على الروحانية، فأين الضمير، وأين القيم؟ أليست حياة الانسان المسيحى كلها اختيارات، ولابد له أن يتحكم فى اختياراته؟

## بين المؤيدين والمعارضين

حاولنا فى الصفحات السابقة أن نستعرض رأى المعارضين، ثم المؤيدين لعلاقة الكنيسة بالدولة، أو المسئولية السياسية للكنيسة. ومن خلال هذه الدراسة، حاولنا أن نلخص الأدوار فى صفحات قليلة، دون إسهاب.

وكما ذكرنا آنفا ، أن المعارضين مذاهب فكرية متنوعة، وكذلك المؤيدين. وهناك من نادى بمذاهب فكرية متميزة ، نذكر ثلاثة منها بكل اختصار، لمجرد اعطاء لمحة من تصور المفكرين. ولاشك أن الاختصار فى شرح نظرية شخص ما يسئ اليه، فان الشرح الكامل يوضح مدرسته الفكرية، إلا أن المساحة فى هذه الصفحات لا تسمح بالإسهاب فى ذلك.

دعا اللاهوتى العلمانى الفرنسى Jacques Ellul إلى تدخل المسيحى فى

---

٦٧ - مرى. ماقبله. ص ٧٤

٦٨ - ماقبله. ص ٤٥

السياسة، وذلك لإظهار التوتر بين المسيحية والسياسة، وبالتالى للشهادة للإيمان المسيحى. فهو يرى أن السياسة منافية كلية للحرية المسيحية(٦٩).

ويعد John Howard Yoder من أبرز من وقفوا فى منتصف الطريق. كانت نظرته فى كتابه Politics of Jesus أن السياسة ترتبط بالعنف، والمسيح رفض العنف، لكن صلب بالعنف، فلا بد لنا أن نرفض العنف وبالتالى نرفض السياسة (٧٠). فى نظره، أن حكم التاريخ لله لا لنا: والله يحقق العدالة فى العالم فى موعد يراه هو. لكن يودر يؤكد مسئولية المسيحى تجاه الشهادة للدولة، والخضوع لها.

نموذج آخر هو James Wm McLendon, Jr وهو مفكر معمدانى، اشترك فى كثير من أقوال يودر، الاّ أنه طالب بالتزام المسيحى للصراع والكفاح لتحقيق العدالة الاجتماعية (٧١).

نخلص من هذه الدراسة إلى أن الكنيسة مسئولة وملتزمة، أن تأخذ وضعها الحقيقى فى المجتمع، وأن تأخذ دورها. فان سلبية الكنيسة، عبر التاريخ، كانت لعدم ادراكها الواضح لتعليم السيد المسيح، ومثاله، وتعليم الكلمة المقدسة. إن السيد المسيح ذاته حسب تعليم كلمة الله والكنيسة، ناسوت كامل ولاهوت كامل. ودور الكنيسة، على نفس الخط، دور شامل. ولابد للكنيسة أن تأخذ دورها. على أنه لا يجوز للكنيسة أن تهمل يوماً دورها الرئيسى، فى بناء الحياة الروحية، والكرازة بالإنجيل، مدركة، أن الكرازة بالخلاص، والعدالة، والحق تسير كلها جنبا إلى جنب ضمن رسالتها.

---

٦٩ - ووجمان . ماقبله. ص ٣٥، ٣٦

٧٠ - ماقبله. ص ٤٢ - ٤٤

٧١ - ماقبله. ص ٤٧ - ٤٩

## (٢)

# الكنيسة والدولة .. نظرة عبر التاريخ المقدس

العمل المستمر لعلم اللاهوت، هو أن يواجه قضية الخلاص الانسانى، والقضايا المعاصرة (٧٢). وقد كان للكنيسة رأيها، فى مواجهة الدولة، وتحليل المواقف عبر التاريخ.

ولكى نتمكن من رسم الطريق، ووضع الخطط الواضحة لعلم لاهوت السياسة، نحتاج أن نقوم برحلة عبر تاريخ الكنيسة، نكتشف فيها صراع الكنيسة فى مواجهة هذه القضية، ودراستها من كافة الجوانب. ثم نقف بعد ذلك برهة، نضع فيها الخطوط الرئيسية للاهوت السياسة.

إن الكتاب المقدس لا يحتوى على أيديولوجية سياسية، ولا برنامج عمل سياسى ولا اقتصادى (٧٣). لم ترتبط المسيحية بمنهج سياسى محدد. فان المسيحية ديانة مسكونية، يمكنها أن تعيش مع أى لون من المجتمعات، ومع أى أيديولوجية . لذا ظهر عبر تاريخ الكنيسة نماذج متعددة لعلاقة الكنيسة والدولة (٧٤).

لما كان الله إله التاريخ، فاللاهوت يرتبط بالتاريخ. فالأحداث السياسية والمواقف أيا كانت، وفى أى مكان كانت، تدفع اللاهوتى أن يطابق فكر الكلمة المقدسة مع الواقع. لقد كان للنازية - مثلا - دور كبير مع لاهوت الكنيسة، كما سنرى.

كما كان لقضية جنوب افريقيا، وموقف الحكومة العنصرية فيها دور كبير فى اللاهوت المعاصر، هذا يدفعنا أن نرى كيف أن علم اللاهوت يكتشف دوره فى مواجهة المشكلات العصرية المتنوعة والمتعددة.

---

٧٢ - فلا فيسيو. بين المسيح وقيصر ص XVIII

٧٣ - ماقبله ص XVI

٧٤ - ماقبله ص XVIII

# عصر الشهداء

ولدت المسيحية فى أحضان الدولة الرومانية، ولقيت من الاضطهاد ألوانا. وقد بدأ الاضطهاد بكنيسة العهد الجديد، حيث لقى أتباع السيد المسيح كل صنوف العذاب. سُجن الرسول بولس من أجل الايمان بالمسيح (كورنثوس الثانية ١١: ٢٣، فيلبى ١: ١٦، ١٧). وقد أعطى سجن بولس له جرأة للمؤمنين للكرازة بالانجيل. بولس الرسول، كبطرس الرسول استشهدا على يد الدولة الرومانية.

زادت قضية عبادة الامبراطور من حدة المشكلة. فقد دخلت عبادة الامبراطور فى عام ٢٧ ق.م. وقد طلب كاليجولا (٣٧ - ٤١م) ووضع صورته داخل هيكل أورشليم. ثم جاء نيرون بأسلوبه الوحشى (٥٤ - ٦٨م) ثم دوميتيان (٨١ - ٩٦م)، وكان رفض المؤمنين السجود لصورة الامبراطور يعتبر تعديا على الدولة، ونقصا فى الولاء للوطن.

إستمر هذا الوضع لدرجة أن الكنيسة ظنت أنه الوضع المعتاد، واعتبر الألم تشبها بالمسيح. توقعت الكنيسة أنها ستعيش العمر كله كأقلية مغمورة، ولم يكن يخطر ببالهم، أن القيصر، يوما ما، سيصبح مسيحيا، ثم يتعدل الأمر.

# عصر قسطنطين

كانت الكنيسة فى مواقف عديدة تأخذ مفهومها من الدور الذى تواجهه. فهى قبل عصر الامبراطور قسطنطين كانت سلبية تجاه الدولة، لأن الدولة كانت معادية للكنيسة، وكانت تضطهدها وعندما جاء الامبراطور قسطنطين، وتبنى المسيحية كدين للدولة.دعمت الكنيسة الدولة (٧٥)، لدرجة أن البعض ظن أن الكنيسة تحابى الطبقة الحاكمة وفكرها، أو الدولة وسياستها. وقد ترأس

٧٥ - فلانسبو. ماتيلد. ص XV

قسطنطين أول مجمع مسكونى فى عام ٣٢٥م . وهو مجمع نيقية (٧٦).

وقد كان ذلك مقبولا فى وقتها. فقد وصل الأمر بتدخل قسطنطين فى العمل الكنسى، إذ نفى القديس أثناسيوس. لكنه أثار الحوار فيما بعد، عن مدى تدخل الدولة فى الشئون الكنسية. وبعد أن كانت الكنيسة مضطهدة، صارت سلما للوصول إلى أعلى المراتب السياسية. وبذلك صارت المسيحية مقبولة سياسيا منذ عام ٣١٢م، حيث صارت المسيحية رسميا دين الدولة (٧٧). واستمرت كذلك، لدرجة أنه فى عهد ثيودوسيوس (٣٧٩ - ٣٩٥)، اعتبر عدم الايمان بالمسيحية جريمة كبيرة.

تطور الأمر إلى اعتبار الامبراطور مقدسا. وقد حاول القديس أمبروز (٣٧٩ - ٣٨٧) إصلاح سيطرة حكومة قسطنطين على الكنيسة، فوضع النظام البابوى (٧٨)، حيث اعتبر الامبراطور ضمن الكنيسة وليس فوقها. إلا أنه فى عهد شارلمان، رسم الامبراطور المقدس (٨٠٠م)، وبدأت المنافسة بين البابا والامبراطور (٧٩) . وقد ظهرت معارضات كثيرة لهذه الفكره. وقد أعلن يوسابيوس (٢٦٠ م - ٣٣٧م) بأن الامبراطور ليس مقدسا (٨٠).

## آباء الكنيسة .. وعلاقة الكنيسة بالدولة

سنحاول هنا أن نستعرض بدراسة موجزة جدا، آراء بعض آباء الكنيسة فى علاقة الكنيسة بالدولة، لعلها تعطينا بعض الضوء على تطور الفكر الكنسى عبر تاريخ الكنيسة.

ونحن ندرس آباء الكنيسة، لا لنتعلم منهم، بل لنرى كيف واجهوا المواقف فى عصورهم. ونحن لا نحكم عليهم بالصواب ولا بالخطأ، فليس من العدالة أن

---

٧٦- جورج خضر. الكنيسة والدولة. ص ١٠

٧٧ - ريتشاردسن. ماقبله. ص ٨٧

٧٨ - نيلافينيسيو. ماقبله. ص ٢٠

٧٩ - ماقبله. ص ٨٨

٨٠ - ماقبله. ص ٦

نحكم عليهم من مواقعنا فى القرن العشرين. إننا نكتشف من خلال الدراسة، الصراع الفكرى الذى اجتازته الكنيسة فى عشرين قرنا. وسوف ندرس فى فصول قادمة كيف نرى نحن الموقف فى أواخر القرن العشرين، وكيف نفسر كلمة الله فى ضوء الظروف المعاصرة.

كان الاتجاه، فى بادئ الأمر، عدم مصالحة الكنيسة مع الدولة. فالدولة معادية للكنيسة. استشهد كثيرون ومنهم بوليكارب. اعتبر بوليكارب أن طاعة الله هى الأساس. وأن السلطة الوثنية التى كانت قائمة فى عهده هى من الله، بهدف إقامة حكومة عادلة (٨١). الا أن المؤمنين يجب أن يطيعوا بشرط أن الطاعة للسلطة لا تدفعهم للخطيئة. وعليهم أن يتأملوا إلى مجئ المسيح الثانى، منتظرين وطالبين سرعة مجئ يوم الرب.

كان ترتليان من أكثر الآباء مهارة وحنكة (١٥٠ - ٢٢٠) (٨٢). لم يهتم بالسياسة. وكان المعتاد بين المسيحيين عدم خدمة الدولة. لكنه طالب الحكومة أن تكون طائعة لله. فان طاعة الانسان للدولة تنبع من طاعته لله أولاً. أما القانون، فان لم يعتمد على العدالة، فهو ظالم.

كان فكر القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠) هو الأساس الذى اعتمد عليه الفكر فى القرون الوسطى، وقد بنى القديس توما الاكوينى فلسفته على فكر أوغسطينوس (٨٣). وكان أوغسطينوس أسقف هيبو بشمال أفريقيا.

إعتبر أوغسطينوس أن روما نشأت بارادة الله لتحقيق مقاصد إلهية. واعتبر أن مسيحيته مرتبطة بالعالم اليونانى الرومانى. وكان فى ذلك ينهج نهج يوسابيوس (٢٦٠ - ٣٣٧).

---

٨١ - ماتيله. ص٤
٨٢ - ماتيله. ص ٥
٨٣ - ماتيله. ص ٢٠

الا أن أوغسطينوس، بعد سقوط روما، كتب كتابه المشهور "مدينة الله". وهنا اتجه بعيداً عن يوسابيوس (٨٤). رأى فى كتابه أن مملكة الأرض هى مملكة ابليس، وقارنها بالملكوت الالهى فى المستقبل، حيث تتحقق العدالة الكاملة (٨٥). لذا فان دور المؤمن هو أن يجعل المدينة الأرضية، أقرب ما يكون للمدينة السماوية. فان مدينة المستقبل - السماوية - تبدأ هنا على الأرض (٨٦). وبذلك ظهرت الولاءات الثنائية للمؤمنين: المدينة الأرضية، والسماوية. فان الكنيسة على الأرض، هى مجرد ظل للكنيسة فى السماء.

أما الحكومة فى نظر أوغسطينوس، فهى جهاز يعمل فى إطار طاعة الله. وبذلك لم يطالب اوغسطينوس الدولة بأن تحقق مطالب الانجيل، أو ترتبط به. لكنه رأى أن المدينة السماوية - عن طريق المؤمنين - تعمل لتجديد المدينة الأرضية، وتغييرها للأفضل.

لذا، فان الدولة - فى نظر القديس أوغسطينوس - مدعوة من الله، لتحقيق مقاصد الله فى البشرية. ودعوة الله للدولة الوثنية، يرينا مكان الدور الدنيوى فى الدعوة الالهية (٨٧). إلى جانب ذلك، رأى أن السلام هو أكثر من مجرد اختفاء للعداوات. وأن الإمبراطورية بدون عدالة، تصبح عصابة لصوص.

لم يرَ أوغسطينوس علاقة بين الرجاء المسيحى وعالم السياسة. فالمسيحيون مطالبون بتحقيق سلام، سماه أوغسطينوس، سلام بابل، لحين تحقيق المجئ الثانى.

ثم جاء توما الاكوينى، فى عصر الثقافة فى أوروبا. كان قد أعيد اكتشاف كتابات ارسطو، وترجمت الى اللاتينية (٨٨). تركزت فلسفة الاكوينى حول

---

٨٤ - ماقبله. ص ٢١

٨٥ - كارل بارث. ماقبله. ص ٤٥

٨٦ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٢٢

٨٧ - ماقبله.

٨٨ - ماقبله. ص ٢٤

القانون الطبيعى Natural Law الذى اعتبره أساس كل الحق، وهو يصف تعامل الله مع المسكونة. فنرى الخليقة قائمة لقصد أسمى، فهى ليست هدفا فى حد ذاتها.

رأى الأكوينى أن فكرة الدولة متواجدة فى الطبيعة الانسانية البشرية. إن أساس السياسة المباشر، هو تواجد جماعة، تعيش معا، فى مجتمع. والانسان، كائن سياسى، لأنه كائن اجتماعى. والانسان، متواجد فى المجتمع، يخضع للقانون الالهى، والعقل، والسلطة السياسية.

إعتقد الاكوينى أن سلطة الانسان هى على الحيوان، وليست على الإنسان. لذلك لا يجوز الاقلال من قيمة الانسان، فان ذلك ضد القانون الطبيعى. أما السلطة البشرية، فهى نظام بين البشر، بعضهم وبعض، وهو طبيعة الوضع، الاأنه لا يجوز أن يصل سلطان البشر على البشر إلى فقدان الذاتية الشخصية لبعض البشر. فالحكم هنا، هو جزء من الطبيعة ذاتها. فلو وجد حكم فاسد، لأن الملك فاسد، فالله أوجده، لعقاب الشر (٨٩).

أما المؤمنون، فان نصيبهم، فى مواجهة الفساد، بعد كل المحاولات، هو الاستشهاد من أجل الحق. إلا أن ديفز (٩٠). يعتقد أن الاكوينى شجع التخلص من المظالم.

يرى الاكوينى أن أفضل حكومة، هى تلك التى يحكمها المسيح كملك. ومن هنا رأى دور المدينة السماوية، التى ينتمى إليها المؤمنون. وهى كما رأى أكليمندس الاسكندرى: كنيسة مقودة بالكلمة، غير مستعبدة لسلطة

---

٨٩ - ماتيله. ص ٢٥
٩٠ - ديفز. ماتيله. ص ٥٠
٩١ - كارل بارت. ماتيله. ص ٤٥

إعتقد الاكوينى أن الحكم الثيوقراطى هو الأفضل. واتجه لحكم الفرد، لا لحكم الجماعة (٩٢) . وهو فى ذلك نموذج للفكر فى القرون الوسطى.

شهدت العصور الوسطى تقدما كبيرا فى الفنون والآداب والعلوم، وقد كان انتقال هذه العلوم عبر الدول سهلا متاحا. ثم جاء القرن السادس عشر، حيث تحول العالم المسيحي، من قلعة ضخمة. إلى دويلات صغيرة (٩٣).

ثم جاء عصر الإصلاح. وقد تميز بفكر مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) وجون كالفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤). تبنى لوثر وكالفن كثيرا من فكر القرون الوسطى عن علاقة الدولة والكنيسة (٩٤). إلا أن التغير الذى حدث كان مرتبطا بالفكر اللاهوتى الذى دعا إليه كلاهما. فقد جاء لوثر بنظرية التبرير بالايمان، وعقيدة الاختيار الالهى، وكهنوت جميع المؤمنين. أما كالفن فقد تعمق فى عقيدة كهنوت جميع المؤمنين، وعلاقة الله مع شعبه. كما أعطى عصر الإصلاح أولوية إهتمام بالنظام Order (٩٥).

دعا لوثر الى تواجد مملكتين: ملكوت الله، والملكوت الأرضى (٩٦). وقد استند على قانون ايمان أوجسبرج Augesburg Confession الذى صدر فى عام ١٥٣٠، وقد تبناه لوثر وكالفن. والمملكتان السماوية والأرضية ترتبطان بالانجيل والشريعة، فهناك ارتباط بين الروحى والسياسى (وهو قريب من تصور القديس أوغسطينوس). واعتبر لوثر أن المملكة السياسية هى جزء من النظام الالهى.وإن كان للكنيسة الدور الروحى، فالعالم هو الكيان الزمنى (٩٧). والمسيحى مرتبط بالطاعة، حتى وإن كان الحاكم شريراً (٩٨). وعليه أن يطيع الأوامر، شريطة أن الطاعة لا تدفعه لعمل الخطية (٩٩). لذا فان لوثر لم يكن

---

٩٢ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٢٤
٩٣ - ريتشاردسن. ماقبله. ص ٩٠
٩٤ - ديفز. ماقبله. ص ٩٠
٩٥ - ماقبله. ص ٥٢
٩٦ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٣٩
٩٧ - ماقبله. ص ٤٢
٩٨ - ماقبله. ص ٥١
٩٩ - ماقبله. ص ٤٠

يحاول قلب نظام الحكم (١٠٠).

إن السلطة الدينية (الكنيسة) والسلطة الزمنية(الدولة)، سلطتان - فى نظر لوثر - مستقلتان، ولكن لهما مجالات للاتصال والحوار. الأولى تمثل ملكوت الله، والثانية تمثل سلطان العالم. فالمسيحى هو الذى يعيش بالايمان بالمسيح، ويعيش مع جاره بالمحبة.

بنى لوثر عقيدته السياسية على الأسس الثلاثة لفكره، وهى : ١ - السلطة الأولى للكلمة المقدسة فى الكتاب المقدس بعهديه، ٢ - عقيدة التبرير بالإيمان ٣ - عقيدة كهنوت جميع المؤمنين. فانه رغم مناداته بفصل السلطتين الزمنية والدينية، فإن هذا لاينفى مسئولية السلطة الدينية تجاه السلطة الزمنية. فانه من خلال عقائده الثلاث التى استنبطها من الكتاب المقدس، فهو يهتم بتحرير الفرد، وإعطائه حقوقه، ليعمل بالإيمان، لا للاستحقاقات الشخصية، وليحمل مسئوليته السياسية والاجتماعية. إن الفرد يقوم بهذا من منطلق ضميره.

نظر لوثر الى الشعب كمواطنين لا رعايا (١٠١). فان مسئوليتهم ليست مجرد الخضوع للحكام والصلاة لأجلهم. فالعمل السياسى حوار فكرى، وأحيانا مساومة (١٠٢). كما أن الحاكم لا يطاع فيما هو مخطئ فيه. كما دعا لوثر إلى مقاومة الدكتاتوريات .

كان لوثر يرى أن السلطات الدنيوية تخضع للسلطات الكنسية. فقد تمرد العالم على الله ، لكنه لا يزال عالم الله . مملكة المسيح ضد العالم ،لكنه للعالم (١٠٣)، فى هذا يتفق لوثر مع أغسطينوس ، إلا أن لوثر أصر على أن الأساقفة يمارسون العمل الدينى فقط، لا الدنيوى (١٠٤).

---

١٠٠ - ماقبله. ص ٤١
١٠١ - ديفز. ماقبله. ص ٥٣
١٠٢ - ماقبله.
١٠٣ - ماقبله. ص ٤٢
١٠٤ - ماقبله. ص ٤٠

تطلع لوثر الى المدينة الباقة، حيث يتم تحقيق مقاصد الله النهائية فى العالم.

لم يهاجم لوثر أمراء ألمانيا، بل ساندهم (١٠٥)، فقد كان لوثر مدينا بحياته إلى الأمراء الألمان الذين ساندوه، واحتمى بهم عندما صدر الحكم ضده من الامبراطور. ولذا، فان الاصلاح اللوثرى مدين للسياسة فى صيانته وحمايته فى العصر الأول له.

يؤخذ على لوثر أنه لم يساند ثورة الفلاحين فى عام ١٥٢٥. ولما كان فريدريك الأكبر، لا يتدخل فى الشئون الدينية، فان هذا ساعد على استمرار الاصلاح وامتداده. لكن عندما جاء أخوه جون، ثم ابنه جون فردريك، وأحس لوثر بسوء الحكم، تدخل لوثر فى السياسة، ودفع أتباعه لذلك (١٠٦). وهاجم فكر الحكام. وبعد أن دعا لوثر الى عدم طاعة الحكام دون عنف، اقتنع فى عام ١٥٣١ أن يقود معركة ضد الامبراطور، مادام القانون يسمح بذلك (١٠٧).

اتجه كالفن فكريا، فى نفس الاتجاه الذى اتخذه لوثر. فالدولة رغم أنها من الله، لكنها بشرية تخطئ فالدولة تتواجد من خلال إرادة الله، وما يحدث فى العالم، هو ضمن خطة الله فى الخليقة (١٠٨). والسلطة الزمنية من الله هى لتحقيق العدالة والسلام، للمسيحيين وغير المسيحيين، فان نظرية كالفن عن سيادة الله على كل الحياة، دعته يرى سيادة الله على الخليقة (١٠٩). وعندما أخطأ الحكام، دعا كالفن إلى المقاومة المسلحة (١١٠). وجدير بالذكر أن اللوثريين فى عام ١٥٥٠ أعلنوا أن الدين الصحيح لا يقبل الشر، فان التساهل معه، مساندة للشر، لذلك اتجه اللوثريون فى ذلك العصر الى محاربة الطاغى.

---

١٠٥ - ماقبله. ص ٤٠

١٠٦ - ماقبله. ص ٤١

١٠٧ - ديفز. ماقبله. ص ٥٣

١٠٨ - ديفز. ماقبله. ص ٥٠

١٠٩ - فيسنسيو. ماقبله. ص ٤٣

١١٠ - ديفز. ماقبله. ص ٥٣

ومدينة جنيف دخلها الاصلاح الدينى قبل دخول كالفن اليها. فقد كان بها ألف من الكهنة وخدام الدين الذين طردوا منها، وحل محلهم ١٩ كاهنا، منهم كالفن. لم يسمح لهم بحق الملكية، ولا بحق العمل السياسي. وبعد قليل طردوا كلهم ما عدا كالفن. الا أن كالفن بعد أن أكمل ١٨ شهرا فى جنيف طرد منها أيضاً. ثم دُعى لإكمال الاصلاح، فعاد اليها، واستمر فيها حتى مات فى ١٥٦٤.

إرتبط لاهوت كالفن بفكرة عهد الله مع شعبه. أعطته عقيدة العهد الالهى ديناميكية كبيرة للخدمة. اهتم بالأجانب، وكانوا فى جنيف عدداً كبيراً. دافع عن المظلومين والمقهورين.

أنشأ كالفن المجلس الصغير Little Council وكان دوره فى جنيف انتقاد الحكام (١١١). وفى رأيه أن هذا المجلس كان وسيلة الكنيسة لتنفيذ فكرة طاعة الله أكثر من الناس. وكان يعتقد أن الله يقيم من شعبه أناسا - سواء أكانت دوافعهم سليمة أو غير سليمة - لتحقيق العدالة، ولطرد الحكام الأشرار.

بينما اعتبر لوثر أن العمل السياسى هو عمل البشر، إعتبر كلفن أن العمل السياسى هو دور الله (١١٢). لكن كالفن - كأوغسطينوس ولوثر - دعا إلى فصل السياسة عن الدين. والفصل المقصود هنا فصل جهاز الكنيسة عن الدولة والحكام. إلا أن هذا الفصل كان لتقوم الكنيسة بدور الرقيب على الدولة.

جاء يوحنا نوكس (١٥١٤ - ١٥٧٢)، وهو زعيم مشيخى باسكتلندة، نفى إلى فرنسا، ثم استعاده ادوارد السادس قسيسا. هرب من انجلترا إلى جنيف مع اللاجئين، وهناك، اعتنق الفكر المشيخى (١١٣). دعا يوحنا نوكس إلى مقاومة كل من يحارب الدين الصحيح (١١٤). وقال إن العصيان هو لطاعة الله،

---

١١١ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٤٣

١١٢ - ماقبله. ص ٤٤

١١٣ - ماقبله. ص ٦٨

١١٤ - ديفز. ماقبله. ص ٥٤

وليس لأغراض أرضية (١١٥). دعا إلى العنف، والحرب، والدفاع عن النفس، وسمح بالعقاب الجماعى. واعتبر أن الثورة على الفساد مسئولية الكل (١١٦). استند نوكس إلى تعليمات الرب قديما، بازالة كل آثار الأصنام ومحاولة حماية الأبرياء (راجع آخاب وايليا - ملوك الاول ٢١، إرميا وصدقيا - إرميا ٢١: ٣ - ٧، وقتل الملكة عثليا - ملوك الثانى ١١: ١ - ١٦، وغيرها). واعتبر نوكس أن خضوع الشعب لنبوخذ نصر الملك، كان بسبب أن الشعب لم تكن له فرصة للحرب (١١٧).

والمصلح بولنجر Bullinger دعا إلى عدم طاعة الحكام متى كانت أوامرهم معارضة لله (١١٨).

خلال النصف الأخير من القرن السادس عشر، ظهرت فرق من الاصلاح، تطرقت عن فكر لوثر وكالفن فى بعض الجوانب. حاول تشارلس فيلا فيسنسيو، أن يلخصها فى ثلاث فرق (١١٩).

(١) حركة معمودية البالغين Anabaptists

(٢) حركة الروحانيين Spiritualists

(٣) الانجيليون العقلانيون Evangelical Rationalists وقد سميت تلك الفرق بالجناح الايسر للاصلاح. منهم بعض الاخوة، والمينونيت Mennonites وبعض المعمدانيين.

اتجهت هذه الفرق إلى أن الايمان المسيحى يتعارض ومطالب الدولة. والمؤمنون على الأرض غرباء ونزلاء. لذا فان طاعة الله تسبق طاعة الانسان، وأن

---

١١٥ - ماقبله. ص ٥٥
١١٦ - ماقبله. ص ٥٥، ٥٦
١١٧ - ماقبله. ص ٥٦، ٥٧، ٥٨
١١٨ - ماقبله. ص ٥٤
١١٩ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٦٠، ٦١

مسئولية المؤمنين هى خدمة المحتاجين وإصلاح العالم. إتجه البعض الى أن المؤمن لا يجوز له أن يكون حاكما، فان ملكوت الله منفصل عن ملكوت العالم (١٢٠). منهم من اعتبر أن الدولة تعمل للشيطان. ومنهم من أخذ فكرا أكثر اعتدالا، وطالب بمشاركة المؤمنين في الحكومة.

اتجهت فرق المتطهرين Puritans إلى الاهتمام بالفرد، وإلى التقوية الفردية، وإلى عدم مقاومة الدولة الشريرة طاعة لوصية المسيح بعدم مقاومة الشر (١٢١).

استمرت فكرة المملكتين مع الفرق التطهرية: الكنيسة والعالم، مع عدم ايجاد مجال للمصالحة بينهما، أو للمشاركة، سوى فى خدمة الكنيسة للمحتاجين فى العالم. فان مالله لله، وما لقيصر لقيصر. فقد دفع السيد المسيح الجزية لقيصر، علما بأن قرار الجزية صدر فى عام ٦م (١٢٢). فالعملة رومانية، تعطى لقيصر والعطاء لروما لا يجوز أن يتعارض مع العطاء لله. والخضوع للسلطة يكون فى حدود دعوتها الصالحة (١٢٣).

وقد واجهت الكنيسة المعاصرة نفس القضية، وكان من أكبر المفكرين الذين درسوا علاقة الكنيسة بالدولة، كارل بارث Karl Barth. من منطلق أن الله واحد، ربط كارل بارت بين الله والسياسة (١٢٤). فالله خالق كل الخليقة، وملكوته هو المناسب للكنيسة والدولة. والدولة ليست مجرد وسيلة ضد الشر - كما ذكر لوثر - بل هى وسيلة للخير (١٢٥).

ولذا فانه لا فصل بين السماوى والأرضى، كما أنه لا فصل بين الناموس والنعمة. فالناموس فى حد ذاته، محتواه هو النعمة. وكلاهما لازم لإعلان شخصية المسيح.

---

١٢٠ - ماتبله. ص ٦٢
١٢١ - ديفز. ماتبله ص ٦٦
١٢٢ - ماتبله. ص ٤٤
١٢٣ - ماتبله. ص ٤٥، ٤٦
١٢٤ - فيلافيسنسيو. ماتبله. ص ٨٩.
١٢٥ - ماتبله. ص ٩٠

وعلى هذا الأساس ربط كارل بارث بين التبرير والعدالة (١٢٦).فهما لا يتناقضان، بل يسيران معا (١٢٧). يرى كارل بارث، فى صليب المسيح أنه يعبر عن صلب المسيح بقرار سياسى فيه أحست الدولة بأنها صاحبة السلطة على المسيح. ويرى بارث أن المسيح صلب، ليس لأنه كان عدوا للدولة، فلم يكن كذلك، لكنه صلب لأنه ملك اليهود، فقد أعلن بيلاطس براءته من أى اتهام ضد الدولة (١٢٨). وبذلك يكون بيلاطس قد استخدم سلطة غير واجبة (١٢٩).

تحدث بارث أن الكنيسة لا تصبح دولة، والدولة لا تصبح كنيسة. فالكنيسة تجمع أفرادها بقرارات فردية، والدولة تجمع شعبها بالاقامة فى موقع جغرافى (١٣٠). والكنيسة تتنكر لرسالتها لو أرادت أن تكون دولة، وبذلك يرفض بارث فكرة دمج الدين فى الدولة. فان الكنيسة ينبغى أن تظل كنيسة، تعلن سيادة الله على العالم (١٣١). وبذلك، فان الكنيسة لها حق انتقاد الدولة وتوجيهها (١٣٢). فان انتقاد الدولة معناه احترامها، وعدم معاداتها. لذا فان دور السياسة مع اللاهوت، دور توتر وصراع فكرى دائم، لصالح المجتمع. هذا يعطى الكنيسة دورها المسئول تجاه الدولة. وبذلك يقول بارث إن الكنيسة الحقيقية تؤكد تواجد دولة حقيقية (١٣٣). وإن كانت الكنيسة لا تحقق الهدف المرجو منها أحياناً.

يشير بارث إلى أن السيد المسيح، دعا هيرودس "الثعلب" (لوقا ١٣: ٣٢). فهل هو معين من الله؟ ان التعيين لا ينفى دور الكنيسة فى توجيهه.

الكنيسة تهتم باقامة دولة عادلة، وتصلى لأجل ذلك (١٣٤). والكنيسة تريد

---

١٢٦ - ماقبله. ص ٩١
١٢٧ - كارل بارث. ماقبله. ص ٣
١٢٨ - ماقبله. ص ١٩
١٢٩ - ماقبله. ص ٢٠
١٣٠ - ماقبله. ص ٥٤
١٣١ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٩١
١٣٢ - ديفز. ماقبله. ص ٦٩
١٣٣ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٩٢
١٣٤ - ديفز. ماقبله. ص ٦٩

تحقيق السلام، وتصلى لأجله (١٣٥). وتسعى لحماية الانسان من آثار الخطيئة. ودور الكنيسة النبوى يحتم عليها بأن تأخذ دور الرقيب (١٣٦). وأن تكون مع الدولة فى مواجهة مستمرة (١٣٧). فالكنيسة تتعامل دائما مع الدولة (١٣٨)، وتهتم بالعالم كخليقة الله (١٣٩). فان خدمة الكنيسة للدولة تتسع للصلاة الشفاعية، وحب الوطن (١٤٠).

ويعتبر ديتريش بونهفر Dietrich Bonhooffer من القيادات اللامعة، فى الكنيسة المعاصرة يتشابه لاهوت بونهفر مع لاهوت بارث، حيث أنهما يركزان الفكر حول شخص المسيح Christocentric. فى ٩ ابريل عام ١٩٤٥، أعدم بونهفر فى معسكر اعتقال لاتهامه فى محاولة قتل رودلف هتلر. والواضح أن بونهفر لم يبرر موقفه، فقد كان يقوم بدوره، كرجل شجاع، يحس بالمسئولية تجاه جرائم النازية فى بلاده (١٤١). وقد كانت جرائم النازية صوت للدولة الاستبدادية Totali-tarian ، التى وصل بها الحد، ليس لمجرد انكار المسيحية دينا، بل للدعوة إلى دين قومى يحل محل الايمان المسيحى، إلى جانب جرائم أخرى عديدة ارتكبتها النازية.

دافع بونهفر عن المظلومين والمحتقرين فى بلاده، وكان يعلم أن هذا قد يقوده الى الاستشهاد، و لم يتردد (١٤٢). وهو فى هذا يتفق مع توما الاكوينى، فى أن الوصول إلى الاستشهاد قد يكون البديل المتاح للدفاع عن الحق.

يربط بونهفر بين الدولة والكنيسة، باعتبار أن الله سيد للخليقة كلها. وهو بالتالى يدعو المسيحى للعمل السياسى. فهو يرى أن المسيحى، لكى يكون مسيحيا حقيقيا، لابد أن يكون انسانا حقيقيا (١٤٣).

يعتبر البعض إعدام بونهفر إستشهادا، فقد مات لأجل المظلومين والمحتقرين

---

١٣٥ - كارل بارث. ماقبله. ص ١
١٣٦ - ماقبله. ص ١١
١٣٧ - ماقبله. ص ١٢
١٣٨ - ماقبله. ص ٣٢
١٣٩ - ماقبله. ص ٤١
١٤٠ - ماقبله. ص ٥٤
١٤١ - نيلانيسنسيو. ماقبله. ص ٩٢
١٤٢ - ماقبله.
١٤٣ - ريتشاردسن. ماقبله. ص ١٠٥، ١٠٧

والمتألمين، مات وهو يؤكد للناس محبة الله لهم، وشرور الدولة التى لم يرضَ الله عليها.

بدأ بونهفر فكرة اللاهوت من برونر Brunner (١٤٤). فالدولة نظام إلهى، أنشئ ليكون له القوة لمواجهة الخطية الموجودة. الدولة مسئولة عن إقامة عدالة وإنشاء نظام. لذا فالمسيحى مطالب بطاعة الدولة، حتى الدولة السيئة.

ويرى برونر أن المسيح موجود فينا ككنيسة، وكدولة. فالكنيسة والدولة منفصلتان، لكنهما تنتميان إلى بعضهما البعض (١٤٥). ودعا بونهفر إلى جانب ذلك إلى اتخاذ القرار السياسى المباشر، الذى يحفظ الدولة فى مسئوليتها، وبونهفر يتفق فى ذلك مع كارل بارث.

وقد ظهرت تحديات عديدة، فى العصر الحديث، تواجه الكنيسة. منها دعوة كارل ماركس فى ١٨٦٤، والاتجاه الشيوعى بكل أشكاله. وقد مارست حركات شيوعية ضغوطاً كبيرة على الكنيسة، منها ماظهر فى الاتحاد السوفيتى، حتى جاء عصر إعادة البناء، بقيادة جورباتشوف، عندما بدأت تسترد الكنيسة مكانتها وحرياتها في العبادة والخدمة.

ونشأت بعد ذلك أيديولوجيات عديدة، ومذاهب فكرية متنوعة نتيجة تطور العصر. وفى الستينات والسبعينات، ظهر لاهوت التحرر فى أمريكا اللاتينية حيث لا يتسع المجال لمناقشته هنا.

وقد كان الفاتيكان الثانى، الذى بدأ فى ١١ اكتوبر ١٩٦٢ خطوة كبيرة حددت دور الكنيسة فى المجتمع، لتحقيق السلام والعدالة الاجتماعية (١٤٦). وقد كان للبابا يوحنا الثالث والعشرين (١٩٦١) دور رائع، فى دعوة الكنيسة إلى هذا الاتجاه، للاهتمام والتضامن مع الفقير والمظلوم (١٤٧).

---

١٤٤ - فيلافيسنسيو ماقيله. ص ٩٣

١٤٥ - ماقيله. ص ٩٤

١٤٦ - ماقيله. ص ١١٣

١٤٧ - ماقيله. ص ١١٥

# تعليـــــق

لقد حاولنا فى الصفحات الفائتة، أن نستعرض رحلة تاريخية، عبر عشرين قرنا من الزمن، فى كلمات مختصرة. يتضح من هذه الرحلة، أن آراء آباء الكنيسة - عبر القرون - كانت تصارع فى تطبيق مفهوم كلمة الله، فى مواجهة الظروف والتحديات التى كانت تواجههم. وقد كانوا جميعا، مخلصين، فى محاولة اكتشاف الحق الالهى، ومطابقته للواقع. وقد اتخذوا أساليب متنوعة ومتعددة، ومختلفة أحيانا.

ولاشك أننا لمسنا فى بعض الجوانب والمواقف شيئا من العنف. ولكى نكتشف الأسباب الحقيقية وراء ذلك، كان لابد لنا أن ندرس الخلفيات التاريخية التى تقف وراء ذلك، والتى لم يتسع المجال لشرحها ودرسها. نأخذ على سبيل المثال الدول الاستبدادية، كالفاشية التى لم تسمح بتواجد قيم إنسانية أو روحية خارج الدولة (١٤٨)، وبعض أشكال الشيوعية التى كتمت أنفاس المعارضين (١٤٩)، أو النازية التى حددت مستقبل الكنائس، ومنعت التعليم الدينى، ومنعت عضوية الكنائس لمن هم دون الحادية والعشرين من العمر، ولم تسمح للكنائس برسامة قسس جدد، إلى غير ذلك (١٥٠).

إلا أن عنصراً واحداً، ضمهم جميعا، وهو طاعة الله، وصالح الانسان. فان كانت الأساليب والرؤى تختلف، فهى كانت دائما تحيط بهذا المحور الواحد. إن عرض الآراء المختلفة، يرينا إطار الحرية التى فى المسيحية، وهى أساس رئيسى فى الايمان المسيحى. فليس كل المسيحيين نسيجا واحدا حرفيا. إن كلمة الله تقدم المبادئ العامة والأساسية، وتضع القيم الأخلاقية للسلوك، وفى هذه لا

---

١٤٨ - موريسون. ماقبله. ص ٩

١٤٩ - ووجمان. ماقبله. ص ١٦، ١٧

١٥٠ - موريسون. ماقبله. ص ٢٠

اختلاف. وروعة الايمان المسيحى، أنه لم يحدد حرفيا نوع الحكومة، ولا الحكم، ولم يرسم أيديولوجية حرفية، ولم يضع شريعة محددة، بل ترك الأحكام والنظم للحكومات المحلية. لقد رسمت المسيحية المبادئ والقيم، التى لا يجوز تخطيها كمبادئ عامة لسلوك الدول والجماعات والأفراد، وبذلك، كانت المسيحية متناسبة ومتناسقة - عبر التاريخ - مع المجتمع الدولى.

ولعل هذا الاتجاه ينسجم مع أسلوب السيد المسيح، الذى لم يحدد نظاما واحداً للحكم، ولا شريعة دولة، ولا سياسة للأحزاب، ولا أيديولوجية من أى نوع. لكنه وضع قيم العدالة، والسلام، والايمان، والرجاء، والمحبة كأسس لصالح الانسان والمجتمع وترك للدول إنشاء الأساليب التى تناسبها.

ونحن لا ندرس الاتجاهات المتباينة فى التاريخ، للخضوع لأى منها. فان آباء الكنيسة وقادتها، قبل الاصلاح وبعده، قدموا أفكارا تناسب عصورهم. وكنيسة العصر الحاضر تواجه تحديات وظروفا تختلف كل الاختلاف عن ظروف الكنيسة عبر عشرين قرنا. إننا ندرس التاريخ، لنرى كيف فكر الأقدمون، ونكتشف لأنفسنا السبيل للمجتمع المعاصر.

لذا كان العرض السابق خلوا من التعليق عليه. فانه ليس من السهل، فى عصر أواخر القرن العشرين، أن نحكم على من سبقونا، وقد كانوا قادة لعصورهم. لكننا من دراستنا لكلمة الله، وفهمنا لما يريده الله منا فى العصر الحاضر، من اطلاعنا على خبرات قادة الكنيسة عبر التاريخ، نكتشف دورنا المعاصر.

## ٣

# الدين والدولة

ارتبط الدين والدولة معا، منذ بدء التاريخ. ففى الديانات البدائية، حيث تعدد الآلهة، كان الدين ركنا أساسيا من أركان الحكم. وكان للكهنة فى ذلك الوقت دورهم الفعال فى التأثير على السلطة.

وعندما دعا الله ابراهيم، أب المؤمنين، إلى الإيمان بالاله الواحد، ورفض عبادة الآلهة الوثنية، آمن إبراهيم بالله. ثم من صلب ابراهيم تكون شعب إسرائيل، فى صورته فى العهد القديم. وعبر تاريخ اليهودية، ارتبط الدين والدولة معا. فكان الحكم إلهيا، والشرائع من الله. كما أن الملك كان من الممكن أن يكون نبيا (كداود الملك الذى كان ملكا ونبيا)، وكان من الممكن أن الكاهن يكون نبيا، إلا أن الملك لا يكون كاهنا. وخلال العهد القديم، ظهرت صور مختلفة للحكم، ارتبطت كلها بالدين. وكان لرجل الدين دوره الكبير فى الحكم.

وعندما جاء السيد المسيح، كانت السلطة في يد رؤساء الكهنة، عن طريق مجمع السنهدريم الأعلى، والذى كان يضم رؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب، والكتبة، حيث تمثلت السلطة الدينية فى رؤساء الكهنة، والسلطة السياسية فى شيوخ الشعب، مع تواجد العلماء ممثلين فى الكتبة. وكان مجمع السنهدريم باعتباره السلطة اليهودية هو الذى حكم على السيد المسيح، قبل تسليمه للرومان (السلطة الاستعمارية) فى ذلك الوقت.

وعبر العشرين قرنا فى المسيحية ظهرت أنواع مختلفة من العلاقة بين الدين والدولة. فالفاتيكان، دين ودولة. رئيس دولة الفاتيكان هو بابا الكنيسة الكاثوليكية وسفراء الفاتيكان فى كل مكان هم رجال دين، وممثلون سياسيون للدولة. ومع ذلك، فهناك سلطات فى العمل الكنسى مستقلة عن السياسة وعن السفراء. وقد نجحت الكنيسة الكاثوليكية في حفظ كيانها - فى كل العالم - متماسكا عبر السنوات رغم عواصف عديدة. ودولة الفاتيكان أسلوب فريد

متميز.

أما الكنائس الأرثوذكسية، فهى كنائس مستقلة عن الدول، فى غالبية المواقع. ولها بطريركيات متعددة، حسب طوائفها. ولم يرتبط الدين والدولة، فى المواقع الارثوذكسية إلا نادرا .. أذكر هنا، سيادة رئيس الأساقفة مكاريوس، الزعيم الروحى لدولة قبرص، والذى بعد وفاته، استلم رئاسة الجمهورية علمانى. وفى بعض المواقع التى يكون للكنيسة فيها دور كبير، نجد أن تأثير الكنيسة على الدولة كبير، رغم أن الحكومة علمانية.

أما الحركة البروتستانتية، فهى تختلف من دولة لأخرى. فكنيسة انجلترا (الكنيسة الانجليكانية - الأسقفية) فهى مستقلة عن الدولة، رغم أن رئيس أساقفة كنتربرى، يتوج الملك فى حفل رسامته والبرلمان البريطانى يبدأ جلساته بالصلاة، كما أن الأساقفة أعضاء في مجلس اللوردات بحكم وظائفهم. إلا أنه لاسلطان للكنيسة على الدولة، وسلطان الدولة على الكنيسة محدود. إلا أنه، فى غالبية الدول التى فيها البروتستانتية تمثل ثقلا كبيرا، لا تتخذ هذه الدول لنفسها دينا رسميا لها.

نخلص من هذه الدراسة، بأن تجربة ربط الدين بالدولة قد فشلت. فانه - رغم أن الفاتيكان هو الدولة الوحيدة التى تستمر حالياً - فانه، بعد مجئ موسولينى، انفصل الفاتيكان عن ايطاليا. وصار من الواضح، أن ربط الدين بالدولة، لم يحقق نجاحاً. وكان لابد - عبر التاريخ - من فصل الجهاز الدينى عن جهاز الدولة.

وحيثما كان المسيحيون أقلية، فانهم يعيشون جنبا الى جنب، مع مواطنين، سواء أكانت الدولة دينية أو غير دينية.

# أساس الدولة ودورها

تتكون الدولة من مجموعة من المواطنين، فى موقع جغرافى معين. ولأن الله، هو رب الخليقة، فالدولة موجودة باذنه وبارادته. والقائمون على الحكم، سمح الله بتواجدهم أيا كان دينهم، وأيا كانت مذاهبهم الفكرية.

هناك دول لها دين رسمى، ودول أخرى اعترفت بأكثر من دين فيها، ودول تركت الديانة حرية كاملة دون ارتباط بدستور الدولة.

فى مرات حاول الدين أن يسيطر على الدولة، فنشأت الحكومة الثيوقراطية. ومرات أخرى حاولت الدولة أن تفرض سيطرتها كاملة على الدين، وحاولت أن تستغله لصالحها.

للدين شأن كبير فى كل إصلاح إجتماعى، فى كل مجتمع. أحست الدول بذلك، فلم تترك الدين وشأنه، بل حاولت الافادة منه لصالح المجموع. فالدين يعنى بالحياة، والدولة تعنى بتنظيم الحياة. الدولة تقف بجانب القانون والنظام والضبط والتنظيم، والدين مصدر قوة روحية معنوية عالية تعاون المواطنين على الالتزام بالايمان والخلق والقيم والعدالة والمحبة.

فالمواطنون فى كل دولة، مدعوون لطاعتها، حفظًا للنظام، وحرصًا على الصالح العام.

وهناك صور عديدة فى كلمة الله. فان إرميا النبى، يحدثنا عن سيطرة بابل على الشعب، على يد نبوخذ نصر، ملك بابل، والذى أحرق الهيكل وخرب أورشليم، ولم يكن مؤمنًا بالإله الواحد. ويشير إرميا إلى حديث الله العلى، عن نبوخذ نصر، بأنه "عبد الله" (إرميا ٢٥: ٩، ٢٧: ٦). فان مقاصد الله العليا، كانت أن يسخر الله أحداث نبوخذ نصر لفائدة الشعب، وفائدة بابل أيضاً. إن ربوبية الله، وسيادته على الكون، متى سمحت بشئ ما، فهى تعمل

الكل لتحقيق المقاصد الالهية العليا، فى الوقت المناسب.

وأثناء محاكمة السيد المسيح، تشدق بيلاطس بسلطانه على السيد المسيح، قال له المسيح: "لم يكن لك عليّ سلطان البتة، لو لم تكن قد أعطيت من فوق (يوحنا ١٩: ١١). وقد اعتبر الرسول بولس أن السلطات - أيا كانت هويتها - فهى مرتبة من الله (رومية ١٣: ١و ٢).

ودور الدين فى الحكم، هو طاعة الله، وخدمة الانسان، بنزاهة وأمانة، بعدل وحق، كما أن دور الدولة هو تحقيق سلام المواطنين، وأمنهم وحمايتهم، ليعيشوا فى هدوء وسعادة، وفى تقوى ووقار (تيموثاوس الاولى ٢: ٢). إن دور الجهاز الحاكم هو أن يعدل بين جميع المواطنين، أيا كانت هويتهم، وأن يعاملهم سواسية. ولهذا، فللأجهزة الحاكمة، أن تسن القوانين التى تحقق أهداف العدالة، والانتاج، والحق فى الشعب. وبذلك، تدعم القوانين المصالح العامة لكل المواطنين. فان توما الأكوينى، يرى أنه لو قصرت القوانين فى تحقيق العدالة واقرار الحق، كانت غير عادلة (١٥١). فان كانت الدولة ظالمة، فالله يكسر قضيب الظلم (إشعياء ٩: ٤، إرميا ٢١: ٥).

إن الحكام مجربون بأن يستخدموا السلطة والقوة لمصالحهم ومصالح أعوانهم، فالقوة تتحول إلى بطش، والعدالة تتحول إلى ظلم، والحق يختفى فى هذه الحالة تكون الدولة خاطئة وشريرة أمام الله ويعاقبها الله (١٥٢). إن الدولة دينية كانت أو غير دينية، ملتزمة أمام الله، فإن أخطأت كانت مسئولة أمامه. فلا قدسية للدولة متى أخطأت.

والدولة - كدولة - ملتزمة، فى سبيل الصالح العام، باستخدام كافة الوسائل لتنمية الحياة على أرضها، كما أنها ملتزمة بتحقيق العناية بالفقراء، والضعفاء، والهامشيين، لاعطائهم حقوقهم كمواطنين صالحين، خلقهم الله.

---

١٥١ - ديفز. ماقبله. ص ٨١

١٥٢ - كارل بارت. ماقبله. ص ٢٣

## علاقة الدين بالدولة

ومن استقراء علامات الأزمنة (متى ١٦: ١٣). وفى ضوء فهم مسيحى، فان من صالح الدين، وصالح المواطنين، أن يكون الدين مستقلا عن الدولة، وموازيا لها، ويقوم بدور الأمين على القيم وعلى الصالح العام. إن بورجان مولتمان، عالم اللاهوت المعاصر، يرى من حديث الرسول بولس، انه يقصد، فصل الكنيسة عن قيصر [١٥٣]. كما أن السيد المسيح يميز بين ما لله وما لقيصر (متى ٢٢: ٢١). ولذلك يكون من الأفضل ألا يكون رجل الدين - ممثلا رسمياً للكنيسة - هو الحاكم. فإن كان دور الدين، هو دور تثبيت القيم، والرقابة على الأجهزة الحاكمة لكى لا تخطئ، فلا يجوز للاثنين أن يكونا فى منصب واحد. هذا الوضع، ولاشك، يحفظ من قدسية الدين. وبذلك يكون الدين مستقلا عن الدولة، غير منفصل عنها. ولنا فى كنيسة القرون الوسطى دروس وعبر.

إلا أن البعض لا يوافقون على ذلك، ويرون امكان دمج الدين والدولة فى دولة علمانية، ويعودون بذلك الى دور العهد القديم، عندما كانت الدولة دينية، والحكام علمانيون. إن هذا فى نظرهم يعط مكانة أكبر للدين.

فصل الدين عن الدولة، يحمى الكنيسة من أن تأخذ الدولة لها قرارتها، فى وقت يفضل فيه، أن قرارات الكنيسة تنبع من إيمانها ورسالتها. كما أن الفصل بين السلطات حماية للطرفين.

## علاقة الدولة بالدين

إن أى دولة تدرك - ولا شك - أن الدين قوة هائلة فى بناء المجتمع، ودعم المواطنين. والمسيحية، قوة هائلة، تعمل على تغيير المجتمع للأفضل، وعلى

---

١٥٣ - فيلافيسنسيو. ماقبله. ص ٤٢

تثبيت المواطنة وفعاليتها، والتركيز على القيم الخلقية.

لكن فصل الدولة عن الدين، يعاون كل منهما على الانطلاق والحرية، كما أن لهذا الانفصال فائدة مزدوجة، أى أنه يكون لخدمة الانسانية والمجتمع.

الدولة مطالبة باعطاء الكنيسة ذاتيتها، وحرياتها فى العبادة، والخدمة، لتكون الكنيسة دعامة قوية فى بناء المجتمع، إلى جانب دورها فى بناء إيمان شعبها.

# ٤
# الكنيسة والسياسة

نواصل الدراسة التى بدأناها فى الفصل السابق، عن الدين والدولة، لنرى هل من علاقة، بين الكنيسة والسياسة. وعندما نتحدث هنا، عن السياسة، نركز أساسا، على الدائرة الأضيق فى السياسة، والتى تشمل الحياة النيابية (تمثيل الشعب)، والأجهزة التنفيذية. لقد ناقشنا من قبل، الدائرة الأشمل في العمل السياسى، والتى تضم الخدمات للمواطنين، لتنمية الانسان والمجتمع والبيئة. ونحن نركز فى هذا الفصل، والفصلين القادمين، على الدائرة الأضيق، كما ذكرنا.

والحديث عن الكنيسة، نقصد به الكنيسة المسيحية العامة بكل طوائفها ومذاهبها، أى شعب الله، فى موقع جغرافى محدد، وفى دولة معينة، يتجمع شعب الله فى مؤسسات، هى الكنائس: فالكنيسة مؤسسة شعبية دينية، تكونت بناء على دعوة الله للمؤمنين، وفاعلية روح الله فيهم.

وكنيسة الرب يسوع مدعوة للعبادة، لتكون العلاقة بين الشعب والله، علاقة مستمرة. ونقصد هنا أن علاقة الله، بالشعب، علاقة جماعية، فى الكنيسة، التى هى الصورة المنظورة لملكوت الله على الأرض. ولابد للكنيسة إلى جانب العبادة، أن تمارس الفرائض، وتدرس الكلمة المقدسة. كما أن الكنائس مدعوة للعمل معا، وللمشاركة معا. ومن جانب آخر، فالكنيسة - ككنيسة الرب يسوع فى موقع جغرافى معين - مدعوة أن تكون ممثلة لله، فى الشهادة الحية الحقيقية، وذلك بالدعوة لتحقيق العدالة، وبخدمة السلام، ورعاية المطحونين والمغمورين. ودور الكنيسة فى ذلك دور عام للمسيحيين وغير المسيحيين. فإن الله خالق الجميع على حد سواء، والحقوق ينبغى أن تكون متساوية للجميع.

إحساس الكنيسة، بأنها فى العالم، وللعالم، يدفعها أن تأخذ مسئوليتها الروحية والاجتماعية والسياسية بالكامل. إن الكنيسة يجوز لها، أن تبدى

الرأى لأجهزة الدولة بشأن بعض القضايا العامة، وفي نفس الوقت يمكنها أن تقوم بتوعية الشعب، ليقوم بدوره المسئول.

الكنيسة هى الصورة المنظورة لملكوت الله. وملكوت الله يشمل العالم كله. فاطار مسئولية الكنيسة لا يجوز أن يكون محلياً، بل يشمل كل الخليقة. إلا أن الكنيسة المحلية تقوم بالدور الذى تستطيعه فى حدود امكانياتها. ولكنها وهى تقوم بهذا لا يجوز لها أن تنسى أن إلتزامها عام، ومسئوليتها شاملة.

كنيسة الرب يسوع، تعيش علاقة عهد مع الله، قطعه الله معها. هذا العهد هو التسلسل الطبيعى لعهد الله مع إبراهيم قديماً، ثم موسى، ثم داود، حتى قطع العهد مع الكنيسة فى شخص الرب يسوع المسيح. فالكنيسة هى جماعة الرب، جسد السيد المسيح الرمزى، المتواجد فى العالم، الذى يحقق فى العالم مطالب السيد المسيح ورسالته.

وبالتالى، فهى الأداة التى يستخدمها الله لتحقيق التاريخ، من أجل الرجاء الذى يريده الله للعالم حتى نهايته. والكنيسة مدعوة أن تكون أداة النعمة الالهية، التى تخدم دون النظر الى استحقاق من يُخدم، فالنعمة الالهية مجانية، ومحبة الله بلا حدود.

وبالتالى فإن الايمان المسيحى، يهدف إلى جانب تكوين علاقة قوية بالله، إلى تغيير المجتمع للأفضل، عن طريق بث القيم الأفضل، وتربية الشخصية الأنضج، وإعداد قيادات فكر - الرجال والنساء - تقوم بدورها الايجابى لصالح الانسان والمجتمع.

لذا، فان الكنيسة، وهى شركة جماعة المؤمنين Koinonia، تحمل مسئولية الشهادة Martyria للمسيح، وخدمة الانسان Diakonia.

فالكنيسة، وهى لاهوتيا، تعبر عن جسد السيد المسيح، تمثل تواجده الحى

الحقيقى على الأرض، تضم شركة المؤمنين، الذين عن طريق ارتباطهم وتماسكهم، يكونون "مجتمع" الجسد الحى، فى عالمنا الأرضى. فان مضمون "الشركة" هو أعمق بكثير من أى ارتباط اجتماعى آخر Koinonia من خلال هذه الشركة، تتجه رسالة الكنيسة، فى خطين متوازيين، أحدهما: الشهادة Martyria والشهادة هنا، هى شهادة بالسيد المسيح، ومافعله لأجل البشرية، والخدمة Diakonia وهى خدمة الانسان، والتى تمتد الى كل مجالات الخدمة والتنمية بكل ألوانها، خدمة للانسان المحتاج.

والكنيسة، من موقع احساسها بالمسئولية أمام الله، تهتم بالدعوة إلى تثبيت قيم المحبة والعدالة والسلام والاخاء. وتحس أنها مسئولة عن معالجة أسباب الشر والألم، قدر مسئوليتها عن تخفيف الآلام البشرية. فإن "معالجة الأسباب" ترتبط بتغيير النظم، والبحث عن الحلول الجذرية للمشكلات لتطبيقها، بينما، مهمة تخفيف الآلام البشرية، ترتبط بالحلول المؤقتة لإراحة المتألمين، والمظلومين، والفقراء، والجرحى، إلى غير ذلك.

والكنيسة مسئولة أن تنبه الدولة، عن طريق الأجهزة الشرعية، عما يعطى كل مواطن كرامته وحقه. كما أن لها أن تبدى رأيها عن طريق الأجهزة المعنية عن القيم التى قد تضيع في الزحام، أو الأمور الهامة التى قد يغفل عنها. وبذلك تكون الكنيسة قائمة بدورها المسئول والملتزم، كعنصر حى في المجتمع الانسانى.

وعند ظهور أيديولوجيات جديدة، فى المجتمع، لا بد للكنيسة من دراستها، وتوعية شعبها بها. فلابد من تواجد الوعى السياسي الكافي، وادراك الأبعاد السياسية، رغم عدم اندماج الكنيسة المباشر فى السياسة.

ويجوز للكنيسة أن تأخذ على عاتقها قضية معينة (أو قضايا) لتتبناها، وتدعو لها. أذكر على سبيل المثال فقط: الوقاية من الإيدز، تنظيم النسل،

تذويب الفوارق الطبقية، الاخوة الشاملة للمواطنين، الديموقراطية، محاربة الرشوة، مكافحة الاستعمار، حب القريب، إلى غير ذلك. وللكنيسة أن تستخدم وسائل الاعلام المتاحة لابداء رأيها.

إن الكنيسة، وهى تقوم بدورها هذا، تقوم به من منطلق إيمانها بالمسيح، الذى يدفعها للشهادة الحية لتعليم السيد المسيح، فى الحق والعدالة، والاخاء والانسانية، والمحبة وكرامة الانسان. إنها تحمل مسئوليتها، على أساس حب الوطن، الذى أوجدها الله فيه، حسب دعوته الصادقة لها.

إلى جانب ذلك، فان هذه المسئوليات السياسية والاجتماعية هى ذات مسئوليات الوطن. فالكنيسة تعمل جنبا إلى جنب مع الوطن لخدمة الانسانية.

من رؤيتنا لعلامات الأزمنة، نجد أن الكنيسة لا تشترك رسميا – ككنيسة – فى حزب سياسى، ولا ترتبط ببرنامج سياسى لزعيم ما، لكنها تدعو الشعب للاشتراك فى الحزب الذى يستريح إليه كل فرد. وبذلك تترفع الكنيسة بنفسها فوق الاحزاب.

فى كل هذا، تعمل الكنيسة بتواضع تام، مسترشدة بروح الله القدوس، مستجيبة لنداء الشعب: "ليقدموها (الدعاوى والحجج)، ويخبرونا بما سيعرض، ما هى الأوليات، أخبروا. فنجعل عليها قلوبنا، ونعرف آخرتها، أو أعلمونا المستقبلات. أخبروا بالآتيات (إشعياء ٤١: ٢٢و٢٣).

قلنا إن الكنيسة ملتزمة بالوطن. وهى أيضاً ملتزمة بالدولة، متى كانت الدولة واعية أمينة لدورها، طائعة لله، مقيمة للحق والعدل بين المواطنين. فلو أن الدولة طلبت من الكنيسة "عبادة الامبراطور" كما حدث فى الكنيسة الأولى، أو لو أن هتلر آخر ظهر فى دولة ما، يرتكب ما يهدر كرامة الانسان، فان الكنيسة تطيع الله أولا، وقبل كل شئ. إن المسيحيين الأول خضعوا للدولة،

ودفعوا الجزية رغم عدم راحتهم لها، لكنهم لم يخضعوا لعبادة الامبراطور (١٥٤). أما ولاؤهم للوطن، فكان ثابتا.

الكنيسة تصلى لأجل الوطن، كما تصلى لأجل الدولة، والحكام، ومن هم فى منصب مسئول.

وردت عبارات الصلاة والخضوع لأجل الحكام، فى أكثر من مكان فى العهد الجديد. فقد جاء فى (رومية ١٣: ١ -٤): "لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله. حتى إن من يقاوم السلطان، يقاوم ترتيب الله. والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فان الحكام، ليسوا خوفا للأعمال الصالحة، بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان، افعل الصلاح، فيكون لك مدح منهم. لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشر، فخف، لأنه لا يحمل السيف عبثا، إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر". ثم يقول الرسول بولس لتيطس (٣: ١) "ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين، ويطيعوا ، ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح".

وقال الرسول بولس لتيموثاوس (تيموثاوس الأولى ٢: ١ -٣) : "فأطلب أول كل شئ، أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات، لأجل جميع الناس، لأجل الملوك، وجميع الذين هم فى منصب، لكى نقضى حياة هادئة مطمئنة، فى كل تقوى ووقار. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله".

من هذه الآيات نلاحظ، أنه رغم أن الكنيسة. كانت مضطهدة، إلا أن الرسول طلب الصلاة لأجل المسئولين فى الحكم. هذه هى الأخلاق المسيحية، يساء إلى المسيحيين، فيصلون. إنهم يصلون لمن يسئ اليهم، يرجون لهم الخير. إلا أن الرسول بطرس (أعمال الرسل ٥: ٢٩)، يوضح المقارنة: "ينبغى أن يطاع الله،

---

١٥٤ - بودر. سياسات يسوع. ص ١٩٣

أكثر من الناس". لقد افترض الرسول بولس أن الحكام يعملون الصلاح. فان عملوا الشر، وطلبوا من المؤمنين ماهو خطأ، فان أمانة المؤمنين الأولى، هى لله.

الكنيسة، داعية سلام، فلا تحمل السيف. إنها داعية حب، لأن الله محبة. إنها ملح الأرض، ونور العالم (متى ٥: ١٣و ١٤). ولا يجوز لها، أن تكون سلبية أو تتنحى عن دورها المسئول.

فى بعض الدول، حيث الكنيسة أقلية صغيرة جداً، قد تحس بحرمانها من بعض حقوقها، تجد الكنيسة نفسها فى مأزق إن أرادت أن تقوم بدورها. فمن جانب، تظن الكنيسة أن دورها ضئيل جدا لدرجة أنه غير ذى قيمة، ومن جانب آخر تجد الكنيسة نفسها مجبرة، بالأنطواء على ذاتها، والانسحاب من كل شئ.

لا بد للكنيسة أن تدرك أنها ملتزمة بدورها أمام الله. ولا يجوز لها أن تحتقر الدور الذى تقوم به. فإن دورها - مهما كان صغيرا - له فاعلية. إنها ملكوت الله على الأرض، ولا بد لها أن تعبر عن ذاتها، دون تردد.

أما إن أحست كنيسة ما، فى دولة ما، أنها مغتربة على أرضها، فهذه الكنيسة، لابد أنها تتذكر قصة شعب الله، عندما اعتدى نبوخذ نصر، ملك بابل، على أوشليم، وأخذ أفضل قياداتها أسرى إلى بابل. وهناك، فى أرض الغربة، قال الأسرى: "على أنهار بابل جلسنا، بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف، فى وسطها، علقنا أعوادنا، لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا فرحا، قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون. كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة؟ (مزمور ١٣٧: ١ - ٤)" فنبرة الحزن والتشاؤم مثيرة لاتتفق مع الايمان. فأشجار الصفصاف، فروعها تتدلى كالدموع، تعبيراً عن الأسى والحزن الشديد. لقد أخطأوا. كان لابد لهم أن يرنموا! فكيف يهربون من شهادتهم؟

فى ذلك الوقت، قال الله للشعب على لسان إرميا النبى (٢٩: ٥ - ٧):

"ابنوا بيوتا، واسكنوا، واغرسوا جنات وكلوا ثمرها. خذوا نساءً، ولِدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء، واعطوا بناتكم لرجال، فيلدن بنين وبنات، واكثروا هناك ولا تقلّوا. واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم اليها، وصلوا لأجلها إلى الرب، لأنه بسلامها، يكون لكم سلام".

يطلب إرميا النبى، من الشعب، أن يعيش حياته الايجابية المعتادة فى أرض الاغتراب. وأن يطلب باخلاص سلام المدينة، فالسلام يلد السلام.

فمتى أحست شرذمة مسيحية صغيرة بالأغتراب، فلابد لها أن تكون مجموعة حية مسئولة. فالسلبية أسلوب غير ناضج. كما أن العداء للمجتمع المحيط ليس أسلوبا مسيحيا. إن الحقد على الحرمان تربية غير واعية. البحث عن الاستشهاد أسلوب غير صحيح، فالاستشهاد الحقيقى يُرغَم الانسان عليه، لا يسعى إليه هو بنفسه. الأسلوب المسيحى الأمثل. هو أن تقوم الجماعة بدورها فتحقق ذاتها، مهما كان دورها محدودا، وأن تكون إيجابية فعالة، وأن تكون رسالة حب، ونور لكل من يتعامل معها. وبذلك تشفى الكنيسة من احساسها بالاغتراب.

بل لابد للكنيسة أن تدرك، أن مسئوليتها، ليست مجرد العمل لأجل الكنيسة فحسب، بل العمل لأجل الوطن ككل. فإن الكنيسة – وهى تؤكد قيم العدالة والحق والأمانة – تلتزم بالاهتمام بالمواطنين جميعا مهما كانت هويتهم.

من هذا، كان لابد لكنيسة الرب يسوع، فى أى موقع من المسئولية، أن تضع منهجها للعمل، وهو – لاشك – يشمل العمل الروحى، والخدمة الانسانية، والمسئولية السياسية والاجتماعية.

# ٥
# المسيحى والسياسة

بعد أن استعرضنا علاقة الكنيسة بالسياسة، ودورها السياسى، نستعرض دور المسيحى - كفرد - فى السياسة. إن دور الفرد يختلف كثيراً عن دور الكنيسة، حيث أن للفرد حريته الشخصية، التى تقوده وترشده بوازع من ضميره الشخصى.

دعوة الله للانسان، دعوة رسالة ومكان. فإن تواجدنا فى موقع جغرافى معين، هو تدبير الهى. فارتباط المسيحى بالأرض ارتباط مواطنة صادقة.

ومن ثم كان دور المسيحى دور المشاركة الفعالة مع المجتمع والدولة فيما يؤدى رسالة حقيقية مخلصة للآخرين. إن المسيحى مطالب بالتأثير على المجتمع (١٥٥). وكما يقول كارل هنرى، إن المسيحى مطالب أن يعمل من خلال السلطات المدنية لامتداد العدالة والصالح الانسانى.

والمسيحى، فى المجال السياسى، ملتزم بواجب المحبة، والعدالة والأمانة مع جميع المواطنين، ولخيرهم. لا يجوز للمسيحى، فى أى موقع، أن يكون محكوماً بتعصب قَبَلى، أى بأن يكون المدافع عن المسيحية فقط، وأن يعمل لصالح المسيحيين فقط. إن العدالة تقتضيه، أن يعمل لصالح جميع المواطنين، بغض النظر عن انتماءاتهم أو هويتهم. فالمسيحى، حيثما وجد، داعية سلام، ومحبة. إن المسيحى، فى أى موقع من المسئولية، يوجد فيه، يصلى لأجل الجميع، حتى لأجل من يسيئون اليه. المسيحى مطالب بأسلوب المحبة والسلام، لا يجوز له أن يشترك فى مؤامرة رخيصة، أو فى أى عداء بغيض. المسيحى رسول سلام ومحبة فى أى مجال كان.

والمسيحى، لا يجوز له الاشتراك - بأى صورة من الصور - فى أعمال الارهاب، والعنف، واستخدام السلاح. فأسلوب السيد المسيح لم يكن يقبل

---

١٥٥ - كولسون. ممالك فى صراع. ص ٩٣

الحرب، ولم يواجه الحرب بحرب، ولم يتحدى الذين هاجموه بالسلاح، بل واجه الحرب بالسلام، والكراهية بالحب، والاهانة بالكرامة، والجروح بالصمت. وكان فى نظره أن السلام والحب والكرامة أقوى من كل الأسلحة والأساليب. وفعلاً كان. فأساليب العنف، التى استخدمت معه، تحطمت كلها على صليبه وفى قبره، وقام منتصراً فوق كل شئ.

كل مسيحى مدعو أن يكون شاهداً، وخادمًا. وكونه شاهد حق للسيد المسيح، بكلامه وحياته يدفعه أن يكون أمينا فى رسالته. كما أنه ملتزم أن يكون خادما لحاجات الانسانية قدر استطاعته.

إن المسيحى بالحق. يقوده ضميره، فيعطى الجميع حقوقهم (رومية ١٣: ٧)، ويدافع عن المظلوم، ومن هضم حقه.

فان السيد المسيح، يعتبر أن كل خدمة تؤدى للفقير والمحروم والمظلوم تؤدى له شخصيا (متى ٢٥: ٤٥).

المسيحى مطالب بممارسة الحقوق المدنية، بالاشتراك فى الانتخابات والاستفتاءات، والنقابات، والمنظمات الجماهيرية، والقنوات الشرعية والأحزاب السياسية، والخدمة العسكرية. إنه يقوم بذلك من منطلق دعوة الله له، التى هى دعوة رسالة، ودعوة مكان. فالمواطنة دعوة الهية.

ولابد أن يظهر بين المسيحيين، من يتزعم حركة تغيير لصالح المجتمع. فالدعوة لتحرير الرقيق نبعت من وليم ولبرفورس (١٥٦). من دافع إيمانه المسيحى، كذلك كان أول من دعا العالم ليدرك مشكلة السكان وخطورتها هو توماس مالثوس. قد يقدم مسيحى نفسه، لعضوية مجالس إدارة النقابات، أو عضوية مجلس الشعب، ليكون إسهامه ايجابيا وفعالا. إنه يقوم بدوره هذا، من منطلق أنه "مواطن"، له كافة حقوق الفرد فى الوطن.

---

١٥٦ - ماتيلد. ص ٩٦

# تعليــــــــــق

افتقاد اليتامى والأرامل (يعقوب ١ : ٢٧) مسئولية إنسانية، لكنها مؤقتة. فالمشكلة فى صلبها اجتماعية، أو اقتصادية، ولا يجب الاكتفاء بالحلول المؤقتة، بل ينبغى التفكير فى الحلول الشاملة، التى تعالج المشكلات وهذا هو القرار الأخطر.

المرأة، التى لم ينصفها القاضى الظالم، حتى ألحت عليه بشدة، وأقضت مضجعه، فأنصفها من أجل إلحاحها، هذه القصة التى ذكرها السيد المسيح، تعبر عن أهمية الالحاح المتواصل لإنصاف المظلوم. ودور انصاف المظلوم، رغم أهميته، حل مؤقت، فالقاضى الظالم، سيظلم شخصا (أو أشخاصا) آخرين والحل، إما فى إحياء ضمير القاضى، أو انتقاله من موقعه.

تحدث جون ستوت عن التاجر، الذى كان فى طريقه من أورشليم الى أريحا، والذى التقى به لصوص، سرقوا ما معه، وجرحوه، وتركوه وانصرفوا. إن السامرى الصالح - كما شرح السيد المسيح - قام بدور رائع فى خدمة الجريح، حيث اعتنى به. إلا أن الحلول الجذرية - كما يرى ستوت - تدفع إلى حماية الطريق، ووضع الأنوار، وإقامة الحراس. إن عمل السامرى الصالح هام، لكنه مؤقت. فالحلول الجذرية تحمى الطريق مستقبلا.

الحلول المؤقتة، هى بمثابة رقعة جديدة على ثوب عتيق، سرعان مايبلى ويتمزق. لقدجاء السيد المسيح، وأعطى سيفا لبتر الفساد. (متى ١٠: ٣٤، لوقا ١٢: ٥١). فان الحلول الجذرية لازمة لتغيير المجتمع لما هو أفضل.

والحلول الجذرية، تحقق العدالة. فالسلام دون عدالة مستحيل. والعدالة، تحتوى - فى أعماقها، مهما كانت قاسية - محبة.

الحلول الجذرية، هل نسميها قرارات سياسية؟

# المراجــع

* Barth, Karl. **Church and State.** London: Student Christian Movement Press, 1939

* Bennett, John. C. **The Christian As Citizen.** World Christian Book, No. 5; London: Lutterworth Press 1955

* Colson, Charles. **Kingdom in Conflict.** An insider challenging Views of Politics, Power and the Pulpit - Grand Rapids: Zondervan Pub. House, 1987.

* Clifford, Paul Rowntree. **Politics and the Christian Vision.** London. SCM Ltd., 1984

* Davis, J.C. Christians. **Politics and Violent Revolution.** London: SCM Press, Ltd., 1976

* Jenkins, David E. **God, Politics and the Future.** London: SCM Press, Ltd., 1988

* Kuitert, H.M. **Everything is Politics But Politics is not Everything.** London: SCM Ltd., 1986

* Lehmann, Paul. **The Transfiguration of Politics.** Jesus Christ and the Question of Revolution. London: SCM, Ltd., 1975

* Muary, Philippe. **Politics and Evangelism.** Translated from French N.Y. : Doubldy & Co., Inc., 1959

* Michlen, Nathaniel. **The Theology of Politics.** London: The Religious-Book Club.

* Minear, Paul S. **I Pledge Allagiance, Partiotism and the Bible.** Philadelphia, The Geneve Press, 1975

* Mulhoelland, Cathrine. **Ecumenical Reflection on Political Economy.** Geneva. World Council of Churches, 1988

* Richardson, Alan. **The Political Christ**. London: SCM press Ltd., 1973.

* Schonfield, Hugh J. **The Jesus Party**. N.Y.:Macmillan pub. Co., 1974

* Srioang, Kosou, ed. **Prespective on Political Ethics**. An Ecumenical Enquiry. Geneva: w.c.c., 1983

* Stott, John. **Issues Facing Christianity Today**. A major Appraisal of Contemporary Social and Moral Questions. London: Marshall, Morgan & Scott, 1984

* Villa - Vicencio, Charles. **Between Christ and Ceasar**. Classic and Contemporary texts on Church and state. Forward by Paul Lehmann, Grand Rapids: Eerdmans Pub. Co.,.1986

* Welsh, William. **The Art of Political Thinking**. Government and Common Sense. Edited by Catherine Welsh. New Jersy: Littlefield, Adams & Co. 1981

* West, Cornel. **Prophetic Fragments**. Grand Rapids: Eerdmans & Co., 1988

* Wogmans. J. Philip. **Christian Perspectives on Politics**: SCM Rtd, 1988

* World Council of Churches. **Church and State**. Opening a new Ecumenical Discussion. Geneva: Wcc, 1987

* ... **The Church and International Disorder**. N.Y.: Houper & Bros., 1948

* ... **The Churches' In International Affairs**. Geneva: W.C.C., Reports 1983 - 86, 1987

* Yorder, John Haward. **The Politics of Jesus**. Grand Rapids: Eerdmans Pub. Co., 1972

* ستانلى موريسون وحبيب سعيد. **الدين والدولة**. القاهرة: دار الشرق والغرب.

* على الدين هلال - د. **السياسة الدولية**. مقال فى مجلة السياسة الدولية. عدد ٦٨ - ابريل ١٩٨٢. ص ٣٢ - ٣٥.

* هارولد ح. لاسكى. **مدخل الى علم السياسة**. ترجمة عز الدين محمد حسين. راجعه على أدهم. القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٨٠

* جورج خضر - مطران . وس . ترديننسكى. **الكنيسة والدولة**. سلسلة: تعرف الى كنيستك. بيروت: منشورات النور، ١٩٨٢.

هــذا الكتــاب .

يناقش قضية طالما شغلت أذهان الناس من المسيحيين وغير المسيحيين . فالمفهوم السائد أن الكنيسة تنظيم دينى لا دخل لها بالسياسة . لكن هل هذا هو الواقع ؟ وهل يمكن أن تعيش الكنيسة بمعزل عن الدولة ؟

وهل من سند فى تعاليم الكتاب المقدس لعلاقة الكنيسة بالدولة ؟

وهذه مواضيع يتحتم على كل مسيحى أن يناقشها ويكون له رأى فيها .

وهذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبة العربية للدكتور القس صموئيل حبيب المعروف بعمق أبحاثه وتنوعها .

دار الثقافة

دار الثقافة

١٠١٠٠١٧٦